السيد حافظ

كرسى على البحر

الطبعة الثانية

مسروايـة

الكتاب: كرسى على البحر

الكاتب: السيد حافظ

الناشر: **مركز الوطن العربى "رؤيا"**

البريد الالكترونى : justhappy_man2000@yahoo.com
Hafez66@live.com

تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ ــ ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨

الناشر : " العنــوان " للنشر والتوزيع **- الشارقة مويلح**

ص.ب: ٨١٨١١

alenwan10@gmail.com

الطبعة الثانية: القاهرة ٢٠١٨

رقم الإيداع: ٧٧١٨ / ٢٠١٢

دار الكتب والوثائق القومية

إدارة الإيداع القانونى

الترقيم الدولى: I.S.B.N 978 – 977 – 207 – 191 - 3

الغلاف : **أهداء من الفنان العالمى مصطفى عبد الوهاب**

إخراج وجرافيك: خالد شعبان

الإشراف على التنفيذ : الأستاذ / أحمد حافظ، الأستاذ / أحمد محمد الشريف

الجمع والصف الالكترونى: وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: خالد شعبان

توزيع : مركز الحضارة العربية ــ أ. على عبد الحميد

مكتبة عمر بوك ستور ــ القاهرة ١٥ شارع طلعت حرب أعلى مطعم فلفلة

تليفون: ٠٢٢٣٩٦٠٠٤٧ ــ ٠١٠٠٣٣٦١٢١٧

دار زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد وسط القاهره

الاسكندرية: مكتبة دار حورس للنشر والتوزيع

مكتبة أكمل: الاسكندرية ١٨١/ ١٨٣ شارع أحمد شوقى ــ رشدى

تليفون: ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

ملاحظة هامة لك صديقى القارىء:

أولاً :

هذه سردية و ليست رواية عادية ولكنها مسرواية، أى رواية تأخذ المسرح معها فى عناق وتلاحم وهو حلم توفيق الحكيم فى بنك القلق وكذلك كان حلم يوسف أدريس فى نيويورك ٨٠.. وهى ليست حلمى الآن بل هى مشروعى.. أنت بين يديك الجزء الأول من مشروعى وبعد عشرات الصفحات تقابل الجزء الثانى وتنتظر الجزء الثالث وهكذا.. فتعطر وتأهب واشرب قهوتك واخلع نعليك واسترخ وتنبه فأنت شريكى وصديقى هيا بنا نرحل معا عبر الحكاية..

ثانيا :

هذا المشروع هو منفصل متصل يعنى أن كل جزء منفصل وأيضا متصل بالأجزاء الأخرى.. لأن لى خبرة متواضعة فى الكتابة للمنفصل للمتصل فى الدراما..

ثالثا:

استعد صديقى وشريكى القارىء فى هذه الرواية، إنى سوف أقوم فيها بتصحيح التاريخ المزور فى حياتنا بدءا فى هذا الجزء وفى كل جزء سأقوم بهذا.. لأننا قمنا بتزوير التاريخ وقدمناه للناس.. وأنا مثلك درست التاريخ المزور فى المدرسة وحتى الآن.. ولكنى بحثت وقرأت وصححت لعلى أنفع الناس وأكشف الغمامة عن عيونهم وأن يشغلوا عقولهم.

منذ خمس سنوات صدرت الطبعة الأولى.. لكن بعد خمس سنوات معلوماتى وقراءاتى زادت لذلك كان ولابد أن أقدم عملاً جديداً أكثر معرفة وأكثر خبرة فى التكنيك.

حاول أن تمر نحو النور فعشاق الظلام كثر.. وأخدر نفسى كل ليلة بصوت عبد الحليم وفيروز هل أنا من سلالة النور وأنت المجهول؟

(بعد عصر الأهرامات فى مصر جاء عهد الانحطاط وجاء امنمحات الأول كى يواجه هذا الانحطاط الاخلاقى والاجتماعى والعام لكنه وجد عدم ارتياح من المصريين له حيث أن قلوبهم ارتاحت إلى الفوضى والفساد اللذين هوى إلى حضيضهما الشعب المصرى خلال عدة أجيال بل قرون حتى أنقذهم امنمحات من ذلك فى تلك الفترة وكان

شعاره إصلاح النظام المالى فى مصر والقضاء على الفساد بالعدل وقال إن مهابة الحاكم تأتى من تطبيقه العدل.. (جيمس برستيد كتاب فجر الضمير صفحة ٢١٩..) انتبهوا لكلمة إن قلوب المصريين ارتاحت إلى الفوضى والفساد من ٤ آلاف سنة قبل الميلاد.

يا أيُّها العابرون على ذكرى طفولتي ألقوا عليها الورد والابتسام..

الكاتب

و أنســى

أنَّ النسـاء جســدٌ

مـن لحـم ودم

وأتذكـر

أنـهن عطـر لـه روح

ويجرحنى صدى صوتك فى ذكرياتى.. فكيف يكون حالى....

مر الفرح على بابى وجد الحزن حجز كل الأمكنـة

السيد حافظ

إهـــداء وشكر

إلى الناقدة والباحثة الرائعة تلميذتى
الدكتورة / نورا الكحال

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً

صدق الله العظيم

﴿الإسراء: ٨٥﴾

قال فتحى رضوان خليل أحد أبطال هذه المسرواية :

لا تعتبى على فقلبى وعمرى ورزقى وحلمى ليس بيدى.. لا تعتبى على فأنا بقايا فارس وحديقة أنغام لم يسمعها إلا قلة.. ألم أخبرك ياصغيرتى أنك شعلة فى الروح حين تظلم ولا أدرى يدي من رجلى.. ولايسارى من يمينى.. لاتعتبى علي ودلليني. ودلينى على مسكن روحى لروحك واغسلى قلبك بيدي. لاتعتبى على . وأنا من يسقط من حروفى ألف شاعر وألف ألف كاتب مسرحى وروائى وألف ألف ألف ألف أنثى جميلة تافهة ويهاجمنى ألف دعى وصحفى وأشباه كتاب وألف سياسى جاهل.. أنا لا يعرفنى حقا إلا من استظل بظل نبى وتعطر فى الفجر بسورة النور وهو بهى.. ومن مرق واخترق التاريخ بوعى إنسانى غير عادى أنا لايعرفنى إلا أنثى لاتشبه أحدا.. أنثى تشبه الهمس الخفى وليس لها مثيل ولا شبيه ولا سمى وأنا المغرور والمقهور والمكسور والمحشور والمسحوق والمنثور على الصفحات لشعب لايقرأ. وأنت خير النساء لاتعتبى على لاتعتبى على.

قالت سهر إحدى بطلات هذه السردية المسرواية

- آه أستاذ كاظم.. أهرب من سحر عينيك تأسرنى ابتسامتك فى معتقل أنا أحبك لا مفر.. لك فى قلبى وردة حزينة فقدت عطرها مع مرور الوقت وابتعاد المسافات.

الفصل الأول

عشق لا يعرف الانتهاء

حكاية

"سهر"

الـــروح الســـابعـة

بقعة دم على قميص نوم "سهر"

خافت.. ارتعدت.. بكت... جاءت الأم مهرولة؛ وجدت بقعة دم حمراء فى ثوبها.. زغردت الأم، ثم ارتعدت.. لقد بلغت "سهر".. نضجت اليمامة.. الحمامة.. الوردة.. تفتحت مبكرا.. أصبحت طفلتها أنثى.. طفلتها ذات الاثنى عشر عامًا.

رأت أباها يبكى يومى ٨ و٩ يونيو، وهو يرى عبد الناصر يتنحى.. ذهبت أمها بها إلى "شهرزاد"، وقالت لها:

- البنت صارت أنثى..

زغردت "شهرزاد" العجوز الجميلة الساحرة نثرت عليها بخورًا به حبهان وعين الشيطان حرقتها فى النار.. وقرأت لها بعضا مما تيسر من القرآن.. والدعاء.. والتعويذات.. والمعوذتان.. وبسر الدعاء للبنات

مر يوم، يومان. عام، ربما عامان

تحرك نهدها في الفراش بقلق قامت إلى النافذة فتحتها وجدت عصفورًا يرتعش.. أمسكته.. احتضنته.. انتفض نهدها الأيمن.. أدخلت العصفور فى صدرها تدفئه.. انتعش نهدها الأيسر، وطرب..

"سهر".. اسم يعرفه الليل والبحر والشجر وأحلام الشباب المراهقين والرجال العجائز على أبواب الدكاكين والمحلات فى الجبل فى بلاد الشام..

"سهر".. ابنة السابعة عشر ربيعًا التي كلما سارت في الأزقة أو الشارع يبعث نهداها في قلوب الرجال إشارات كهرومغناطيسية بفرح.. هي تعرف أن الله جميل وأحيانا يمنح أنثى من روحه ومن وجهه ألقاً؟.. قال عجوز يسكن بجوارهم كلما رآها:

- سبحان الله الذي خلق!!

قال أبوها:

- متى يأتي عريس يناسبها، وينقذ أباها من كل هذا القلق؟

أخذت العصفور فى حضنها ونامت، وتدفأ المجرم الصغير، ونام بين النهدين يحلم ويسأل الله أن يتحول إنسيًّا، ولو ليلة.. ساعتين.. ساعة.. نصف ساعة.. دقائق.. لكن لا فائدة.. تقدم ببطء من شفتيها ونال قبلة فتحت عينيها... "أي أي".. ضحكت.. ضمته وضمته مرة أخرى إلى نهديها وشدت اللحاف..

- بطل شقاوة ونام..

لم ينم العصفور وطاف بخياله ألف حلم.. آه لو كان بشرًا لطاف بها في الفراش حول الكرة الأرضية واغتصبها ألف مرة.. وتزوجها رغمًا عن أنف كل البشر..

آه لو تحولت "سهر" إلى عصفور لحلت المشكلة فى الحال.. آه لو؟؟

تمددت "سهر".. نزل شعرها على كتفيها فظللت العصفور.. شعرها غابة من الحرير من العطر تغطيه.. هذا العطر لم يشمه من قبل العصفور لا على الزهور ولا البحور ولا الغابات ولا أى بشر..

يقول أحد الأثرياء فى المنطقة التي تسكن بها "سهر":

- أقسم بالله أنا على استعداد أن أدفع وزنها ذهبًا..

لكن العرافة "شهرزاد" قالت لأبيها:

- لا... ابنتك ستسافر إلى بلاد النفط بلاد الذهب من الإمارات و تتزوج من رجل ثرى، وتفتح لها المدن ألف نافذة نور، وستتمرغ فى الذهب..

الأب ينتظر أن يأتي هذا الفارس القادم الرحالة؛ لترحل معه سهر على سفينته، ويكون علم السفينة التى تركبها شمس وقمر.. كما قالت العرافة العجوز "شهرزاد"..

"شهرزاد" تعرف قصة لسان امرأة مسماة بالألفية جامعها ألف رجل؛ فحكت عن كل رجل منهم أشكالًا مختلفة وأوضاعًا مشتتة، وهى تعرف مدينة العلو والإيضاح في أسرار الليل.. بعض النسوة الأشرار قلن إنها هي التى عرفت ألف رجل.. تجلس النساء تحت ركبتيها يشكين من ضعف الرجال الجنسى وجهلهم بالتعامل معهن.

فقط هى شهرزاد التى تعرف، وتنصح بعض النساء بعمل فنجان قهوة على الريحة أو قهوة سادة قبل الجماع بنصف ساعة حتى ينجبن ذكرًا، وكانت تعرف للنكاح مائة اسم فتجلس النساء أمامها فى ذهول.. كانت تقول إن النكاح له أسماء كثيرة؛ فالحصان يُسمى كام، وعاظل الكلب: أي نكح الكلبة، ونزا التيس: أي نكح التيسة، وقمط الديك: أي نكح الدجاجة، وسفد الطائر: أي مارس الجنس، وعندما تشكو أنثى من الرجل من كثرة الجنس تقول لها هو الدعس.. والهك والهق شدة النكاح.. والرجل الذى يكثر من النكاح تقول مثل العصفور تقول عنه رصاع..

كانت تعلم النسوة كيف تكون الأوضاع التى تثير المتعة أكثر.. ولم لا!! إنها "شهرزاد"، وكانت تمرح مع النسوة أثناء شرب "المتى" (هو مشروب تشربه بعض الجاليات العربية، ويُشرب فى أمريكا اللاتينية وكان يشربه جيفارا).. تقول شهرزاد للنسوة ذكر البعير يقال له (مقلم) وللفرس جرادن، وغرمول الحمار، وقضيب التيس، وعقدة الكلب، ونزك الضب، وقضيب الذبابة سموه (متك).. تضحك النسوة ويلتففن حولها فى ذهول.. كانت "شهرزاد" قد ورثت عن أبيها مكتبة بها كُتُب الشيخ الإمام جلال الدين السيوطى وكتاب ابن حزم "طوق الحمامة" فى فن النكاح.. لم تقل سر علمها بالعشق والغرام... والنساء يجلسن فى ذهول أمام علمها قالوا إنها امرأة قديسة وقلن أيضاً عنها لعوباً.. قلن تزوجت من ألف رجل.. قلن وقلن وقلن، والناس دوما تقول..

ولدت "سهر" في يوم ١٢ رجب ١٣٧٧هـ - ١ فبراير ١٩٥٨م، يوم أن تم الاتفاق على الوحدة بين مصر وسوريا، والتي أطلق عليها اسم «وحدة ما يغلبها غلّاب» وأصبح الاسم الجديد لمصر وسوريا "الجمهورية العربية المتحدة"، وأصبح "عبد الناصر" الزعيم لكلا البلدين، وأًطلق على "شكري القوتلي" اسم «المواطن العربي الأول»، ولم يقم بأي عمل سواءً كان رسميًا أم غير رسمي، وهكذا قام حلف من نوع جديد لا هو من حلف الفضول ولا حلف بغداد ولا حتى حلف وارسو أو الأطلنطي، بل

حلف أساسه قومي عصبي لتلبية طموحات جامحة لزعيم عربي، والعجيب أن هذه الوحدة التي قيل إنها وحدة ما يغلبها غلَّاب لم تستمر سوى أربع سنوات، ثم انفكت.

فرح أبو "سهر" كثيرًا عند قيام الوحدة وبكى أكثر عند الانفصال كطفل فقد أباه.. كان حب الشوام لعبد الناصر أسطورياً رغم الانفصال..

أم "سهر" أنثى جميلة تدعى سلمى.. تؤمن بكلام "شهرزاد" العرَّافة التي تسكن في كوخ بعيد.. "شهرزاد" اللغز لم تتزوج، ولكن سُميت باسم "شهرزاد" لأنها أسعدت أناساً كثيرين بقراءة كفوفهم.. شهرزاد على ذقنها وشم أخضر.. هى بيضاء.. عيناها زرقاوان.. قالوا من جمالها تزوجها جني جميل، ومنع كل الرجال عنها أو الاقتراب منها.

وقالوا عنها: عرافة الجن.. يمدها عشيقها الجني بالسر، وأسرار كل البشر..

"شهرزاد" تحب "سهر" لأنها تذكرها بشبابها تذكرها بالجمال الذى فتن العقول فى شجن، وألهب خيال الرجال.. شهرزاد ألهب خيالها رجل واحد اسمه حامد الصقر الذى يقف على كتفه صقر.. وهرب من القرية إلى فنزويلا .. شهرزاد تحب سهر وعطر عرق "سهر" الذي لم يعرف سره أحد لا جن ولا بشر.. "شهرزاد" تعرف أنَّ السر في العرق وأنه عطر لا يوجد في أى أنثى إلا ما ندر.. سبحان ربى من خلق، ولا يوجد أحد فى الضاحية، أو البلاد مثل "سهر".

"شهرزاد" تعلم ما قاله الشيخ السيوطى أن يدعك الرجل حلمتي ثدي الأنثى فإن حلمتها تهيجها هياجًا شديدًا وانقطاع اللبن عن الثدى دليل على أن بين الثدي والرحم اتصالًا.. كانت النساء تسرع إليها لتعرف سر الجماع، والرجال يحاولون الحصول على نصيحة منها مقابل سلة تفاح أو زيتون أو بعض الليرات؛ فكانت تأخذها بشموخ وكبرياء لأنها الوحيدة التي تحفظ نصائح السيوطي..

وعندما تعلم "شهرزاد" أن رجلًا من الحي أو القرى أو المدن القريبة تجرأ وطلب يد "سهر" أو اقترب منها تهجم عليه فتقرأ له كفيه وتقول محذرة:

- لا تقترب من "سهر" إنها عشيقة القمر ومن يتزوجها يصاب بالعمى

وكان الكثيرون يصدقونها ويهربون، إلا بعضهم كان يحاول مرة أخرى ولكن على حذر..

نهضت "سهر" في الصباح، وجدت العصفور لم ينم طوال الليل، بل ظل واقفًا متوثبًا أمامها يراقبها طوال الليل وهى نائمة.. نظرت فى عينيه وجدت صورتها.. خافت.. ارتعدت.. ظنَّته جنيًّا جاء فى شكل عصفور.. قالت:

- من أنت؟ جني؟ أم إنسان مسحور؟

كل صباح تنظر "سهر" فى المرآة.. تنظر فى عينيها.. يرتعش رمشها، تجد فتنة مختزنة لو وزعت على النساء العابرات في مدن الجمال لفتن رجال العالم العابرين على جسور العشق.. وفى أقل من نصف ساعة تكون قد أنهت غسيل وجهها وإطعام الدجاج والديوك والبغل والحصان.. وتلقي ببعض الغلات إلى العصافير والحمام واليمام، وتتجه إلى المدرسة.. ألم يكن من الممكن أن تجرى الحياة على الأرض بلا كراهية وحسد وحقد وغيرة حتى تتمكن تلك الأميرة الصغيرة من التقدم نحو الفرح.. الأقزام كثيرون والعمالقة قلة، وهى تحلم برجل عملاق..

***

كاظم.. معلم اللغة العربية فى مدرسة "سهر" ٣٠ سنة أشقر وسيم.. كان العاشق لها فى صمت يحب كل الصباحات كى يراها.. كان يريد أن يتنفس وجودها فى الفصل فى المدرسة فى الحى فى القرية فى الكون.

ينظر إلى "سهر" يشم عطرها عن بعد فيقترب ويبتعد بين الصفوف فى الفصل كأنه يدنو ويهرب من سجن عطرها ويسأل البنات، ويسألها وكلما أخطأت "سهر" أعطاها فرصة.. نعم.. أليس عندما يخطىء من نحبه نعطيه فرصة أخرى؟. وإذا أخطأنا فيما نحب نطلب نحن فرصة، وكل إنسان يحلم بفرصة، وكل حبيب يحلم بفرصة.. أليس الله

يمنحنا الفرص الكبرى والصغرى، وأحيانًا يعطى بعض البشر إمكانية منح الآخرين فرصة.. هل تمنحينني فرصة أيتها الصغيرة "سهر" يا ابنة السبعة عشر ربيعاً..

قال لـ "سهر" وهو يمر بين الصفوف:

- اجعلى ولى أمرك يأتينى ضرورى.. كان يريد أن يتعرف على أهلها

احمرَّ وجهها.. ترى لماذا ولى أمري؟ ومن ولي أمرها أبوها أم أمها؟ أم أخوها؟؟

آه يا "سهر"..

فى مقاومة ما يستحق المقاومة كتبتُ على الماء وريش الطيور والحجر.. حبك قدر.. في مقاومة ما يستحق المقاومة زرعت الريحان والتمر والليمون والياسمين على جسر كلامى وأذبته فى غدير عشقي لك.. فى مقاومة ما يستحق المقاومة أهديت بعض كلماتي لنساء لم أعرف أسماءهن، وربما قابلتهن أو لم أقابلهن وركضت خلفهن خطوتين وتركتهن على ألف فرسخ خلفي فى دوَّامات حائرة.

آه يا "سهر"..

راح يجهز مشروب "المتَّى" وهو يسير فى الغرفة.. الشتاء بارد فى الجبل.. وصورة "سهر" لا تفارقه، والدفء ضروري فى مثل تلك الليالي.. قال له عمه عبر الهاتف: ممكن أن يجري له فى وساطة حتى يتم نقله إلى العمل فى مدرسة فى العاصمة دمشق.. هل يرحل ويترك "سهر"..

الليل والعشق و"المتى".. الليل وأنت يا "سهر"..

آه يا "سهر"..

يتذكر حين يمر إلى جوارها فى طابور الصباح وهو يحاول أن يجعل الأمر يبدو طبيعيًا.. تقف في الصف في فناء المدرسة تحمل فوق كتفيها حقيبتها.. ترى ماذا تحمل في حقيبتها؟؟.. كل تلميذ أو تلميذة يحمل حقيبة على كتفه بها حزن أبيها وأمها وأسرتها وأحلامها.. هي تسبح طوال الحصة في الماضي والحاضر والمستقبل.. والذاكرة أحيانًا لا تحتمل كثرة أحلامنا وذكرياتنا وأوجاعنا.. ترى ماذا تحمل "سهر" فى

حقيبتها غير جمال حروفها ونبض قلبها وقلوب رجال يعشقون عطرها.. ترى ماذا تحمل من أسرار وأفكار ومشاعر في تلك الحقيبة التى بيديها؟؟

لا تتركيني بين ظنوني القاتلة.. أنا قلبي عصفور يطرب كل الطيور ولكن اللحن من قلبك أنت وروحك أنت وعطرك أنت.. غيابك موت بطيء.. لا تتركي ظنونك تهشم أحلامنا؛ فأحلام العشاق أجنحة الفراشات وجناح الظنون نار تحرق قلوبنا..

سيدتى أنتِ.. أنا أهزم كل الأشياء إلا الظن والشك فهو يبيد كل الفرسان والبشر.. أحبك نعم وأنا عصفور وأنا قلب عصفور لا أحتمل الظنون..

قرأ كاظم خطابات من أبيه يدعوه أن يأتي، وأن يترك وظيفة التدريس فى السويداء والجبل لكنه لن يترك الجبل ويذهب إلى العاصمة.. هل يترك قلبه هنا ومشاعر حب لم يعرفها ولم يقابلها من قبل.. قال لأبيه في رسالة إن حياة الجبل أجمل.. إنَّ أباه يجهز له عروسًا جميلة هى ابنة العم لكن القلب وما هوى وماااااهوى ى ى.. "سهر"

آه يا "سهر"

لا تبقي بعيدا ففي فؤادى وردة منك، ذبلت عيون الرجال من البكاء فى عشقك.. لا تبقي في الروح إلا مسافة بين الحلم والعلم.. لا تبقي بين ذاكرتي والقلب إلا وردة.. لا تبقي طوال اليوم توشوشيني فى النوم واليقظة.. لتبقي راحتي وواحتي وهزيمتي فقد هزمتني أيام العمر.. هل سأضمك وأحبك وأترك على سرير أحلامك عطري طوال العمر..

كراسة "سهر" أمامه.. كل سطر في التعبير الإنشائي يوشوش له بحكايا ليل "سهر" وفجر "سهر" وصبح "سهر"... وكل ثلاثة سطور بلون مختلف.. أحمر.. أزرق.. أسود.. وأحيانًا لون رابع أخضر.. وفي بداية الكراسة رسمت فراشات ووضعت صورًا لزهور كأنها رسالة حب بلا عنوان لا يفهمها إلا كاظم العاشق الولهان..

ويظل السؤال.. لماذا لا أحب المدرسة إلا من أجل "سهر"؟ هل العيب فى المدرسة؟ أم الطلبة؟ أم النظام؟.. الصغار ناقمون.. الكبار ناقمون.. والنظام أخرس أبكم.. حبر

على ورق.. المدرسون لا ينشغلون بالمستقبل فهم محاصرون أو موهومون بأنهم صناع المستقبل؟؟ والطلاب مشدودون بالأحلام.. الرتابة فى حياة المدرس تحاصره.. يشرح نفس الدرس فى كل الفصول، نفس الكلام من شهر لشهر، من عام إلى عام ويظل يدور.. ينسى المدرس طلابه وطالباته ولا ينسى أبدًا المشاغب أو المشاغبة أو المتفوق أو المتفوقة أو الغبى بشدة أو الغبية.. لكن من ينسى عيون وسحر "سهر".

لا أعتقد..

آه يا "سهر".. أحبك في الدقيقة بعدد دقات قلوب نساء الأرض؛ فاجمعى واطرحى واقسمى عددهن فى بقاع الأرض

آه يا "سهر".. ثلاثة حروف نسيتها حين عرفتك "ألف نون ألف"

....

....

كاظم.. لم يلمس امرأة فى حياته، لم يضاجع أنثى، ولكن أمامه الكتب تشرح ما هو الجنس.. يعرّف الجنس بأنه: (جملة الخصائص التشكّيلية والفسيولوجية العضوية التي تؤمن التكاثر الذي يتلخص جوهره بالتلقيح في نهاية المطاف).. وهو كذلك: ((غريزة في الإنسان مثل غيرها من الغرائز التي تتحكم به والتي من أهمها الأكل، والنوم، وكل هذه الغرائز تهدف إلى غاية واحدة هي بقاء حياة الإنسان على الأرض)). هذان التعريفان يتسقان فى معنيهما فى كل الأديان السماوية والوضعية، إذ أن غاية الجنس هو تكاثر النوع.. يقول كولن ولسون: (الجنس هو أحد أقوى الرغبات التي يجربها الإنسان).. يقول فرويد: (ينفصل الجنس أولا عن ارتباطه الصميمي بالأعضاء التناسلية وينظر إليه كوظيفة جسدية عامة تبغى المتعة ومن خلال ذلك فقط تسهم فى إعادة إنتاج النوع). والجنس ينقسم من حيث المعنى إلى قسمين: الأول معناه العام، والثاني معناه الخاص؛ فالمعنى العام للجنس هو: الذكورة والأنوثة، أى معناه البيولوجى، أما معناه الخاص فهو: الممارسة الجنسية، وما يحاط بها – بدءًا وانتهاءً

– من أحاسيس ومشاعر انجذاب إلى الآخر، وما يتداخل معهما من أفعال، أى المعنى الاجتماعي.

وإن تأكيد فرويد على أن الأحاسيس الجنسية لا تنحصر مطلقاً بالتناسلية، صحيح إلى حد ما عندما ننظر إلى دور الكثير من المناطق المثيرة للجنس في الجسم البشري – خاصة الأنثوي، ويعرف أن الكتاب العرب الذين كتبوا لنا هذا الكم الهائل من المؤلفات، ناقشوا وظيفة تلك المناطق على أنها مكملات للعملية الجنسية التي ستؤدي إلى خلق النوع.

ويعرف أن الدراسات العربية والغربية – على حد السواء – قد درست الجنس على أنه يهدف إلى حفظ النوع، إلا أنها تناولته أيضًا على أنه علاقة اجتماعية لا تحكمها هذه الغاية. والجنس يعني النوع، يقول العرب: من جنس الشعر، أي من نوع الشعر. (كقولنا الإنسان والحيوان جنس، إذا أن الإنسان جنس). ومن الكتب المصنفة فيه كتاب "الألفية والشلفية"..

قال أبو الخير يُحكى أن ملكًا بطلت عنه قوة المباشرة بالكلية وعجز الأطباء عن معالجتها بالأدوية فاخترعوا حكايات على لسان امرأة مسماة بالألفية لأنها جامعها ألف رجل فحكت عن كل منهم أشكالاً مختلفة وأوضاعاً مشتتة فعادت باستماعها قوة الملك وشفى، ومثله في مدينة العلوم والإيضاح في أسرار النكاح أي في الباه للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيرازي

والباءة بالمد: (الموضع الذي تبوء إليه الإبل ثم جعل عبارة عن المنزل ثم كني به عن الجماع لأنه لا يكون غالبًا إلا في الباءة أو لأن الرجل يتبوأ من أهله أي يتمكن كما يتبوأ من داره، وقوله عليه الصلاة والسلام "من استطاع منكم الباءة" على حذف مضاف وتقديره من وجد مؤن النكاح فليتزوج... الباءة مثل الباعة والباء النكاح وسمى النكاح باءة.. . باءة إذا أعرس، وفى حديث النبي "من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" أراد بالباءة النكاح والتزويج، ويقال فلان حريص على الباءة أي على النكاح

والباه كلها مقولات ابن الأنباري الباء النكاح.. يقال فلان حريص على الباء والباءة، والباه بالهاء والقصر أي على النكاح والباءة الواحدة والباء الجمع وتجمع الباءة على الباءات.. قال الشاعر "يا أيها الراكب ذو الثبات إن كنت تبغي صاحب الباءات فاعمد إلى هاتيكم الأبيات".. وفي الحديث عليكم بالباءة يعني النكاح والتزويج ومنه الحديث الآخر إن امرأة مات عنها زوجها فمر بها رجل وقد تزينت للباءة وبوىء الرجل نكح.

....

....

يغلق كاظم الكتب وينام يحلم بالجنس والباء والنساء وسهر..

نام العصفور على كف "سهر" وتسلل فى الليل لينام بين ثدييها.. وبكى فرحا وزقزق. شعرت بكلامه ولم تفهم حواره.. دق قلبها دقة.. دقتين.. حن القلب وضعته على النافدة كي يطير.. لم يطر..

قرر العصفور أن يجعل نافدة "سهر" سكنا له، حتى يكون قريبًا منها.. ويتسلل ليلاً إلى غرفتها..

في الصباح مثل كل صباح تشمِّر "سهر" عن ساعديها، وتبدأ في لم فراش البيت كما تطلب أمها وتضعه على سطح المنزل في الشمس.. وكالعادة تمر العصافير والحمام من فوق منزلها كأنها تلقى السلام عليها، وهم يشمون عطرها الذى فى الجو ينتشر إذا ظهرت "سهر"..

كانت أم "سهر" تخاف عليها.. ذهبت "سهر" إلى أمها وأخبرتها بأن المدرس يطلب ولى الأمر.. قالت الأم هامسة:

- ماذا فعلت يا بنت؟
- لا شئ يا أمى.. والله..

تذهب الأمهات للمدرسة عادة للاستفسار عن الأبناء، أما الأباء يذهبون فى حالة واحدة وهى ضرب المدرس أو المدرسة إذا تجاوزوا الحد مع أولادهم.. أو باستدعاء من أحد المدرسين لهم للأهمية..

راحت الأم مع سهر إلى المدرسة، وكانت المفاجأة أن المدرس كاظم قال لها مرتبكاً:

- ديرى بالك على "سهر" لأنها ستصبح متفوقة وسيصبح لها شأن كبير، ولا تفعلى مثل أهل البنات اللائى يمنعن بناتهن عن التعليم فى منتصف الطريق..

كان يود أن يقول لها إنه يحب ابنتها ويريد الزواج منها، وإنه يعشق عطرها.

المدرسة تكحل عيوننا بالدهشة دوما، والغباء أحيانا، ومدرسة البنات تكحل عيوننا ببعض الفتيات الجميلات وبأصوات بعضهن التى تكون مثل أصوات العصافير.

حصة اللغة العربية هى الجحيم للطالبات، وكذلك حصة التربية الرياضية إلا "سهر" تحب اللغة الإنجليزية والتربية الرياضية.. أحبت "سهر" اللغة العربية والجغرافيا والتاريخ.. ذاكرة التاريخ تغذيها بالوهج والخيال وخاصة سلطان باشا الأطرش..

قالت شهرزاد وهى تمشط شعر "سهر" ذات مساء فى بيت "سهر" العشق يا "سهر" سر الحياة.. العشق واحة الروح.. لا تعرف "سهر" سر حب "شهرزاد" العرافة لها؟ ولا تعرف لماذا هى أيضاً تحبها؟

حب خفى متبادل بين الاثنتين كل منهما تحمل جمالًا وسرًا من العشق نحو الرجال..

كانت شهرزاد تنصحها قائلة:

- إن الرجل يكره الفم العفن يجب أن تأكلى حلوى، شيكولاتة، مهلبية أو لقمة قشطة بالعسل قبل القبلات، لأن الأنثى التى يعشقها الرجل يجب أن تكون عطرة الشفتين، وأنت القمر يجب أن تكونى ذهبية الشفتين.. اسمعى يا سهر: إن النهدين تفاحتان، طفلان يسبحان على بحر شفاه فتعلمى السباحة فوق شفاه الرجال، وإن عناق الرجل شمس مشعشعة مشمسة تسري في الجسد بسرعة الضوء، وإن خلع الملابس للأنثى فى العشق ليس دفعة أو مرة واحدة، بل قطعة

قطعة، كأمواج من الزبدة تسيح فى حرارة غريزة الرجال.. وإن الجنس على ريش نعام هو الأحلى، وأحيانا على نجيلة خضراء، أو فى لحظة الجنون على رمال البحر البيضاء.. إن الجنس يروى جفاف الجسد، والإغراء ليس حركات بل فضاءاااات.. أن تكونى بالقرب من الغاوي غواية تشع ثلجًا يطفىء لهيبه شبقًا، وبعيدة فى نفس الوقت نجمًا فى فضاء يطوي قلب الرجل.. يتدحرج الرجل بمشاعره نحوك فى رجاء وإعياء.. يحترق بشهوته فى خلاء وحدته مدفوعًا أن تحج روحه لك فى كل صباح ومساء.. يتحوَّل قلب الرجل إلى قمر يطلب أشعتك؛ فيصير فى أحضانك كوردة صفراء.. حمراء.. قرمزية.. يكون بين يديك خاتمًا وضاءً.. كونى فى عشقك طاهرة وساحرة ونظرة رمشيك خفية بريئة كفتاة عذراء.. نظرة هى طير يسرح فتسرح معه كل العيون وتقفز القلوب له فى السماء. اجعلى ابتسامتك سؤالًا بلا جواب وضحكة فرحك نغمًا وغناءً..

ضحكت سهر وقالت لـ شهرزاد

- آه منك
- إنَّ عطرك سيصيب الرجال عبر الهواء بدوار، وهواء بحر عشقك نار فى روح الرجال.. اجعلى قلوبهم تطير وتصعد حتى سابع سماء.. إن عشقك سيهزم الرجال وهوى قلبك لن يعرف هزيمة.. أنتِ بحر يهدهد القلوب قبل العيون، وصوتك به نبرة خفية تتحرك فتحرك ظلمة الروح للنور.. قبلاتك سكر ولؤلؤ خفى لا يتذوقه إلا رجل يعبر بحرك بالطيران ويدق قلبك بجناحه المكسور وبدقة قلبك له تصبحين وطنا للعشق..
- وأنتِ جميلة يا "شهرزاد".. يخيفينى كلامك من الرجال.. من العشق.. من الهوى.. لماذا لم تتزوجى وأنتِ جميلة؟؟

ضحكت "شهرزاد" قالت:

- كنت جميلة جدًّا.. الجمال ابتلاء والقبح أيضاً ابتلاء.. كنت مثلك ألهب خيال الرجال.. كان ربى عظيمًا جدًّا.. كان قلبى ينتظر أن يصحو قرينه، لكن قرين قلبى كان يضل الطريق طوال العمر وقلبى لا يتزحزح واقفا على رصيف الحب ينتظره.. لقد تعودت الوحدة.. تعودت الانتظار، ولكنى أحيانًا فى الليل وأنا أسعل أشعر بالوحدة والرغبة فى أن يرافقنى زوج رجل أعشقه أحبه أولا قبل أن أتزوجه.. يطاردنى كل الرجال بذكائهم وغبائهم.. أتقلب فى الفراش أصحو فى منتصف الليل أخرج من الدار أراقب الأشجار وهى تعانق الريح.. الليل قاس لا يرحم.. وعلى الجبل تشاهدين الليل عاريًا يشرع قوانينه وشخصيته.. أفكر أن أصرخ: ترى لو صرخت فمن يا ترى يسمعنى؟ الملائكة.. الجبال.. الأشجار.. تمنيت لو ضمنى أحدهم فجأة إلى صدره.. لو فعل سوف يذيبنى ويفنينى بوجوده القوى.. أشعر بقلوب الملائكة مفزوعة من أجلى.. إنى أتطلع كل يوم إلى الانتظار واللقاء.. قلبى وحيد في سأم..

أمسكت "سهر" بيديها..

- أنا أرى الليل فى المساء على الجبل طفلًا يحمل فانوسًا يضيىء به قمر..

نظرت لها "شهرزاد" قائلة:

- يا حبة القلب.. إياكِ والمختار بسَّام إنه زير نساء.. أحيانًا يمر عليَّ فى المساء يحمل بعض الحطب واللوز ويود أن يدخل البيت أمنعه من على الباب.. يترك الأشياء التي يحملها ويعود خائبًا.. كل شيء حولى يؤذن بأن حبيبى قرب موعد قدومه، وأنت سيأتى عريسك إليكِ.. قريباً.

خافت "سهر" أن تبوح لها بأنها تخشى أن يكون جمالها نقمة فلا تتزوج مثلها وتصير حديث الناس.. الزواج هو الخلاص والنجاة لكثير من البنات.. تبتهج البنات بالوهم أن العريس هو الفارس القادم يخطفهن على حصانه الأبيض أو الأسود أو البنى.. يجرى بهن بعيدًا قد يكون الحصان أعمى فلا يعرف مكان قصر أحلامهن؛ فيجدن أنفسهن

فى كوخ أو فى الفراغ صحراء جرداء، فيبحثن عن حلمهن ولا يجدنه أبداً.. فتكون الأماكن نصبًا تذكاريًّا للأحلام المؤجلة أو المهزومة مثل المدرسة القديمة.. أو أول مسكن للعائلة.. أو أول فستان ارتدينه ويفاجأن أنهن لابد وأن يمتن..

كاظم.. معلم "سهر".. كان يحلم بأن يكون سياسيًا فصار معلمًا.. المعلمون سيئو المستوى.. مثقفونا سيئو المستوى.. قادتنا سيئو المستوى.. المجتمع يفرز جهلًا وتخلفًا.. الكراهية تنتشر.. الحقد.. التدنى الفكرى.. المواطن اليهودى لديه حلم بالعودة إلى أرض الميعاد إسرائيل.. الناس تحب حلما بالعودة لوطن مفقود، ونجحت إسرائيل فى جعل هذا الحلم لكل مواطن يهودى.. الفلسطينى يحلم بالعودة لأرض الوطن فلسطين.. ما معنى المواطنة؟ هل هي فطرية أم مكتسبة؟ إذا كانت فطرية كيف تنزع منا بواسطة الحكام؟.. إذا كانت مكتسبة من أين نرضعها من الدساتير أم من القانون أم من النظام أم من الدولة؟؟.. لا أدرى؟؟.. الإسرائيليون والفلسطينيون حلمهم بوطن على قطعة أرض واحدة.. مَن المصيب ومن الكاذب؟.. الاثنان على صدق.. هكذا يقول التاريخ.. الاثنان عاشا على هذه الأرض منذ آلاف السنين.. هل المشكلة فى اسم الدولة تكون فلسطين أم تكون إسرائيل؟.. هل المشكلة صنعها الأنبياء: سليمان وداود وموسى.. أم صنعها الأشقياء من الزعماء من الطرفين عرب وإسرائيليين.. أم صنعها وعد بلفور.. يؤمن كاظم بأن الدولة يمكن أن تكون للاثنين يحكمها نظام علمانى اشتراكى والدين لله..

آه يا كاظم.. الحكومات العربية نجحت فى جعل المواطن العربى يكره وطنه وأرضه ويبحث عن وطن آخر له.. وطن آخر فى أوروبا أو أمريكا، وأنت يا كاظم واحد منهم.. يقول الإمام على رضى الله عنه: "الفقر فى الوطن غربة والغنى في الغربة وطن".. نحن العرب سيئو المستوى.. كان يؤمن بقول أفلاطون من يعزف عن المشاركة فى الحياة السياسية يستحق العقاب بأن يحكمه جاهل أو لا يرعى شئونه ويتجاهله ديكتاتور، ونحن العرب هكذا..

آه يا كاظم.. بعثرت أحلامك بالوطن وسجنته بين الفصول وبين عقول التلاميذ ستلقى بأحلامك عامًا بعد عام وتظل معلمًا مدرسًا مسجونًا.. هل المدرسون آثار خالدة والتلاميذ سائحون يعبرون ويمضون للحياة والأثر يبقى فى انتظار السائحين. لم أفلح فى حب الرياضة أو لعب الطاولة أو الدومنيو أو الشطرنج.. نعم أنا معارض للنظام.. نعم المواطن العربى لا يستطيع أن يفتح فمه ويقول: آه.. إلا عند طبيب الأسنان، وتقول: لماذا قتل على بن أبى طالب؟ ولماذا قتل الخلفاء الراشدون الأربعة؟ لماذا؟

الفصل الثانى

" ليت لي ألف عين "

يقول الشاعر
ليت لى ألف عين
ترى كل ما يعرض على الوجود
من عجائب وطرائف،
وليتني أبقى تائقًا إلى مرأى
ما خفي عني
من أسرار
ومكنونات.."

جبران خليل جبران.

***

يونيو... ١٩٦٧

فتحى رضوان.. حبيب "سهر" في المستقبل

كنت أسكر وأغنى حين أسمع كلمة وطنى والآن أبكى عليه كلما قرأت عنه و نبشت فى ذاكرة التاريخ.. الخطيئة أن نخاف الحب.. لم يعد موج بحر الإسكندرية يكفى غسل أحزانى.. كأنى كنت أعرفك ولمست روحك وطفت بك الكعبة والجنة والنار والماء والهواء والأرض والسماء كأنى كنت أعرفك ورقة بيضاء تطلبنى تغوينى أكتبها كأنى كنت أعرفك قهوة مرة عذبة ورائحة ورد ويود كأنى كنت أعرفك آية من سورة الرحمن

من القرآن لم ينقلها جبريل لخاتم المرسلين وسامحه رب العالمين فحولك ربى أنثى لى كأنى كنت أعرفك افترشى صدرى بستان لك وتنهدى وتمددى كزهرة نرجس كتبت خطابا إلى ناهد حجازى تلك الأنثى التى لاتشبه نساء الأرض عذرا سيدتى ماذا أكتب عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ رأيت الوطن يضاجع الفقراء ويقدمهم ضحايا وشهداء فى سيناء وعندما انتصروا ترك لهم سرواله الداخلى ليصنعوا منه أوسمة وشهادت تقدير وأعلام. أما الأغنياء جلسوا على عرش مصر وباعوها لكل الغرباء باسم الانفتاح والانفشاخ والخصخصة والمصمصة ونشروا للشباب حبوب الهلوسة وطنى لايحب الفقراء وطنى نذل مع الشهداء والشرفاء وأنا برىء ونادم لأنى كنت من الأغبياء الفقراء وأنت خير النساء لاتعتبى على.. عندما تكذب على امرأة على تسقط شهادة ميلاد حبها معى وتصبح فى نار النسيان وتكون فى مزبلة التاريخ وتنفى فى الذاكرة.. كثير من أسماء النساء اختلطت فى ذهنى أصبح الحرف الأول بدلا من الأخير فأصبحت الأسماء متشابهة، ضجر ..الحب الحقيقى تطهير وتنوير لايعرف الكذب والتزوير، الحب رئيس جمهورية النقاء يعرف العلو، الحب يكره المزورين والكذابين.. خائفة من أن تقعى على فراش عشقى وردة أتنفسك وألمسك وأذوب لا تفزعى فى منزلى وعلى الفراش وفى كل الأمكنة أشياء كثيرة مذهلة لقد هطلت على السماء ذات مساء بحلمات نساء وأفخاذ رائعة أنا من سيدخل بك فردوس المتعة المطلقة من ثقب الظلمة إلى النور وأترك قوافل النور وأشد ظهرك للوجع اللذيذ أنا غياب الحضور أنا جبل يذوب من الحب فيغرق الكون أفكارا وعصافير وتسابيح فتموت شهوات النزوات وتبقى صلوات حب للخلود

سوف أغنى وأشترى الزهور مرة أخرى حين أجدك ياوطنى بلا شرطى وقاضى فاسد وإعلامى مخصى مأجور.. لكننى الآن حزين وفى ذهول كل هؤلاء ضدك ياوطنى المحروم. كل ماحولى قبيح الشارع الوطن التاريخ نهود نساء مترهلة يأسا وشوارب رجال مرتخية هزيمة إلا ثلاث وردات فى نافذتى فل وياسمين وجورى. إنى أرى جمال

الكون و أرى الله فى ثلاث وردات فى نافذتى.. أيتها الشوارع الملوثة بدماء غبائنا.. نحن بلهاء لانعرف الفرق بين الديمقراطية والفوضى.. ورجالنا لايعرفون الفرق بين القبلة والوردة والهمسة ونساؤنا لايعرفون معنى الحضن والدفء والرقة لأننا لم نعد بشرا.. بل كأننا شعب وكأننا وطن..

فتحى رضوان

جلس فتحى رضوان فى البالكون بعد كتابة الرسالة شاب (١٨ سنة) مصرى الملامح، عربى الفكر.. عالمى الإحساس بالجمال.. يذاكر الثانوية العامة "أدبى"..

أحببت الجغرافيا والتاريخ كنت أكره الرياضيات كنت بليدًا فى الرياضيات المثلث والمكعب والدائرة ونصف قطر.. والكيمياء.. الطبيعة.. الفيزياء، مع رغبة دفينة أن أفهم سر الذرة.. كنت أكره النحو: الفاعل والمفعول، الخبر المتأخر.. واللغة الإنجليزية كذلك.. حلمى أن ألتحق بقسم الحضارة والآثار أحلم بهذا القسم كى أسافر وأجوب العالم كل العالم..

كانت رغيدة (١٨ سنة) بيضاء عيناها زرقاوان، شعرها أشقر، متفتحة الأنوثة بشبق جنونى.. رغيدة زوجة محمد الطويل (٣٥ سنة موظف فى محلات صيدناوى يجهل العشق والنساء يضاجعها كالحمار وينام).. رغيدة تشعر بالوحدة بين الأربعة جدران.. الوحدة تفتح الباب لشيطان الشهوات. الوحدة تزرع فى العقل حقول التفاهات.. وبسبب الوحدة تشاغل رغيدة جارها فتحى من بالكون بيتها الذي يقع فى الشارع المقابل لها.. وتراه ويراها كأن ما بينهما ليس شارعاً إنما بحر من الشبق أو بحر من الرغبة.. الرغبات أمواج.. الرغبات تدمرنا.. تنعشنا.. تغير كيمياء القلب والفكر والدم والمزاج..

كانت رغيدة تخلع ملابسها عارية فى الحجرة أمامه.. ود أن يقفز على حجرتها..

آه لو لى جناحان.. جسد مطاطى يمتد لشارعها لبعثت به إليها لأطفئ ما فى القلب والجسد من لهيبى ولهيبها.. ضحك وهى ترقص أمامه عارية.. وجاءت أمه إلى البلكون قالت:

- ادخل نام لك ساعة يا حبة عينى أنت صاحى من صلاة الفجر بتذاكر عشان تعرف تكمل اليوم..
- بعد ساعة صحينى يكون الجيش المصرى دخل تل أبيب، وعبد الناصر بيخطب هناك.. زى ماقال أحمد سعيد فى صوت العرب

ولد فتحى رضوان خليل فى نفس اليوم الذى استشهد فيه فى فلسطين البطل أحمد عبد العزيز قائد قوات مصر فى حرب ١٩٤٨.. ولد فى يوم الأحد ٢٣ أغسطس ١٩٤٨.. فى نفس اليوم دعي أحمد عبد العزيز لحضور المؤتمر مرة أخرى بعد تقديم الاعتذار له، وفى المؤتمر أصر أحمد على تسجيل العدوان اليهودي على أموال وأرواح العرب، وكان يمثل اليهود فى ذلك المؤتمر موشيه ديان. وبعد مباحثات مطولة انتهى الاجتماع بقرارات تقضى بسحب القوات اليهودية خلال ٢٤ ساعة من المناطق التى احتلتها إسرائيل، ووقف إطلاق النار على طول الجبهة فورًا ومطالبة حكومات الدول بالنظر فى موضوع خلق منطقة منزوعة السلاح. وبعد الاجتماع عاد أحمد عبد العزيز إلى موقعه وتناول غداءه، وأصر على التوجه مباشرة إلى مقر القيادة العامة فى غزة لإبلاغهم بما حدث بالمؤتمر وذلك على الرغم من مناشدة رجال أحمد عبد العزيز بعدم السفر ليلًا وتأجيل ذلك للصباح الباكر إلا أنه أصر على ذلك واصطحب معه الصاغ صلاح سالم الذى قاد سيارته بدلًا من السائق الذى جلس فى الخلف وكان معهما الضابط الوردانى أحد رجال أحمد عبد العزيز المقربين.

كان لا يعرف كلمة السر التى كانت فى تلك الليلة فى (غزة) أثناء حرب ١٩٤٨ سأله الجندى كلمة السر فقال لا أعرف؛ قتله الجندى الغبى فى الحال.. ويقول صلاح سالم فى مذكراته (عندما اقتربت السيارة من بلدة (عراق المنشية) التى تبعد عن الفالوجا نحو ٢ كيلومترًا سمع صوت طلق ناري خارجًا من أحد خنادق البلدة وسمع فى الوقت نفسه أنين أحمد عبد العزيز الذى ارتمى على صلاح سالم ممسكا بذراعه (حسب رواية صلاح سالم فيما بعد) وحاول صلاح سالم ومن معه بالسيارة حمله إلى مستشفى

ميدانى بالفالوجا لكن قبل وصوله إلى المستشفى كان أحمد عبد العزيز قد فارق الحياة فى ليلة ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ عن عمر لا يزيد على ٤١ عاما...

....

....

منذ ٦ سنوات ظهرت شعرتان سوداوان عند عضو فتحي الذكري.. كان عمره ١٢ سنة.. خرج من الحمام مفزوعًا وجرى إلى جده أبوزيد الذى كان فى زيارة للإسكندرية.. صاح بفزع: "جدى ظهرت شعرتان عند قضيبى".. ضحك الجد وقال: "لقد بلغت وكبرت.. صرت رجلًا..."

نام فتحى وحلم وهو نائم برغيدة وهو يضمها ويفتك بها بقبلاته الحارة..

استيقظ بعد ساعة على خبر أن الجيش المصرى انسحب لخط الدفاع الثانى..

بعد٦ أيام سأل نفسه: هل هى حرب ٦ أيام أم كانت حرب ٦ ساعات؟ ولكنه أبدا لم يدر أن هذا السؤال لم يجب عليه حتى بعد ٥٠ سنة

يوم ٨ يونيو الساعة ٦ مساء كان هناك خطاب مهم للرئيس جمال عبد الناصر. لكن محسن ابن خالتي أم محسن وهو أيضاً ابن الجيران كان مريضًا ولابد أن أذهب به للدكتور شنودة جرجس أشهر طبيب فى الحى (كنت طوال حياتى لا أعرف فرقًا بين المسلم والمسيحى فى مصر إلا فى حصة الدين فى المدرسة.. كان الطلاب المسيحيون يتركون الفصل وقت حصة الدين وينتقلون إلى فصل آخر). عندما دخلنا العيادة وجدناها مكتظة.. أشاهد عبد الناصر يخطب الآن فى التلفزيون وأنا فى العيادة..

فوجئت بأن عبد الناصر يعلن تنحيه فى خطابه.. خرجت من العيادة مسرعًا وتركت محسن ابن خالتى أم محسن يتلوى من الألم.. جريت نحو الشارع.. إلى أين أذهب؟؟ عبد الناصر تنحى..

بمجرد نزولى الشارع خرج الناس من المقاهى فى محرم بك.. تذكرت أوجاعى وأسئلتي التي سألتها فى منظمة الشباب فى معسكر حلوان عن إسرائيل.. هل إسرائيل واهية؟ هل إسرائيل حقا ضعيفة؟ كيف يكتبون في إسرائيل وكيف يفكرون؟ حاكمتني يومها القيادة السياسية فى منظمة الشباب محاكمة تنظيمية.. وجدتنى أثناء المحاكمة أبكى لأنى سمعت دقات قلب الوطن تلازم دقات قلبي.. وجدتنى مواطناً بلا وطن.. وجدتنى مشروع كاتب فى وطن أمّى.. ومثقف وسط أدعياء.. وطيبا وسط أشرار.. وجدتنى حلمًا يمسح مؤخرة الوطن الذى يضاجعه الأثرياء من عسكر يوليو الذين سرقوا مجوهرات الملك فاروق وباشوات مصر وأصبحوا باشوات هذا الزمان.. وجدتنى بسمة على شفاه أطفال لا تعرف الرياء.. وجدتنى أعشق كل الأنبياء وأنه من الغباء ألا نشعر أن الإنسان خليفة الله على أرضه وتحت سمائه.. إذا مر قلبى على بابكم أخبرونى فقد ذهب يبحث عن وطن ليتدفأ به فى هذا الشتاء..

آه.. أشرقت فى نفسى لحظة اكتشفت فيها أن الوجع ليس له هوية، وليس له ميناء اكتشفت أن حب الوطن والكتابة عناء.. ألقيت أشواقى على أحرف اسمك يا وطني؛ فتحولت على الورق إلى ثلاث زهرات ذابلة.. الوطن يذبل ويموت كالزهور ثم يحيا بعد أن نلقى فيه ببذور عشق جديدة..

آه.. خرجت من المظاهرات التى جرفتنى إلى ميدان المنشية وأنا محمول فوق الأعناق.. تردد الجماهير خلفى هتافى: "يا بو خالد يا حبيب بكرة ندخل تل أبيب.."

آه.. طز.. طز.. لا تل أبيب ولا تل زبيب ولا تل نبيذ.. ولاّ احنا شعب عبيط.. نعم احنا شعب عبيط.. هى فين تل أبيب ياولاد الحلال لقد تاه منا العنوان؟

آه.. ذهبت إلى البحر وحملت بندقية للدفاع عن الوطن.. قالوا إن إسرائيل ستغزونا من البحر بالضفادع البشرية؛ فتطوعت لأكون فدائيا، وأبلغت عم المحبش الذى كان يمر بالصدفة وأنا فى طابور التسجيل فى قسم بوليس محرم بك.. (المحبش٥٠ عاما.. قوي البنية.. صوته جهورى مثل أبى.. سائق فى وزارة الصحة.. يسكن العمارة

المقابلة لبيتنا.. فى شقة على السطح.. تعود الغداء مع زوجته عطيات والوقوف على سور السطح بعد الغداء.. يأتى من العمل (الدوام) بعد الانتهاء من عمله وتناول الطعام يقف بالساعات على سور السطح يراقب شقق بيتنا العشرة المطلة على الشارع فيكشف من أعلى إلى أسفل كل الشقق ويراقبها خاصة حركات النساء والبنات.. الرجال.. ولا يخجل.. لا يحب التلفزيون.. يحب تليفزيون الواقع... كل العائلات أمامه.. يحب أن يراقب الكل.. قام أبى بتركيب حاجز أرابيسك في بلكونة شقتنا حتى لا يكشفنا عم المحبش.. وقال:

- دا راجل ناقص واقف طول النهار يتفرج على الشقق والنسوان..

فى بيتنا عائلتان مسيحيتان: عائلة أم جرجس التى فى الشقة المقابلة لنا، وعائلة تسكن تحتها هى عائلة عايدة والأستاذ منسى زوجها المدرس.. عايدة مهرة تتمايل بشعرها.. عايدة جسدها مشتعل فى كل الفصول الأربعة عارية الصدر والذراعين فى كل الفصول الأربعة وعلى الرغم من برد الإسكندرية الغبى القاتل.. المحبش يراقب عايدة بشغف.. قامت.. نامت.. قعدت.. أكلت.. شربت.

كنت آنذاك فى الصف الثالث بالمرحلة الابتدائية.. فوق بالكون عايدة بالكون أم جرجس.. أم جرجس ابنها الكبير جرجس يعمل فى محل ذهب وابنها الأصغر منه روماني يعمل فى محل فضة وابنتها الكبرى مارى أجمل بنات محرم بك بلا جدال.. نفحة من نساء الجنة على الأرض.. أختها الأصغر نوال.. شقراء مثل الأمريكان.. من أى صعيد جاء نعمة الله زوج أم جرجس.. نعمة الله كان خبازا فى مخبز فى محرم بك.. من أين جاءت هذه الأسرة الجميلة البنات كالأميرات؟ هل أسرتهن من بقايا سلالة أسرة رومانية؟ حلمت أم جرجس بزواج نوال من سفير أو وزير لكن القدر جعلها تتزوج من إسكافى مسيحى من القاهرة أما مارى تزوجت من ترزى.. المسيحيات المصريات جمالهن أكثر تميزا كأن المسيح أعطى كل النساء المسيحيات بعضًا من نوره؛ فصار لهن حضور وبهاء مميز عن الجميع عبر كل زمان ومكان.. لقد أحب

سيدنا محمد، مارى القبطية زوجته وأوصى المسلمين بأهل مصر خيرا، كما ورد الكثير من الأحداث التي وقعت على أرض مصر وذكرتها القصص القرآنية؛ فقال فيها الله جلت قدرته:

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة : ٦١]

وقال: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} [الحجر : ٤٦]

.. إذًا اليهود كانوا بمصر الفرعونية.. إذًا خرجوا منها وطلبوا وحلموا بالعودة إليها.. يا إلهى أريد أن أفهم.. وخرجوا عند جبل الطور أى سيناء..

اليهود فى ٥ يونيو١٩٦٧ هل أتوا إلى مصر من أجل فولها وثومها وعدسها أم من أجل رد الاعتبار لأجدادهم الذين عبروا مع موسى البحر وغرق الفرعون وهو يطاردهم بأمر الله.. غرق من غضبة رب العالمين..

كما ورد في بعض الأحاديث النبوية.. ومنها قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أوصيكم بأهل مصر خيراً.. وقال ابن كثير فى التفسير لهذا الحديث إن أهل مصر كثيرو الكلام لا تحاسبوهم على ما يقولون أو يفعلون.. وقال عنها سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه: شعب مصر تجمعه صافرة وتفرقه عصا، وقال عنها ابن خلدون: أهل مصر كأنما فرغوا من يوم الحساب! وسبحان الله العظيم

لا أعرف لماذا ارتبط مصير مصر بالجزيرة العربية بالذات؟.. فسيدنا إبراهيم عليه السلام تزوج من أميرة مصرية هى السيدة هاجر.. كما أن سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم تزوج من مارية القبطية مصرية، وأنجب منها ابنه إبراهيم.. وقال الإمام الشافعى رحمه الله الكثير فى مصر ومنها ما يروى عنه أنه قال.. من لم يتزوج من مصر فلم يكمل نصف دينه..

وقال عمرو بن العاص حين سأله الخليفة الإسلامى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه.. قائلاً: صف لى مصر يا عمرو.. فقال: مما قال عن مصر ترابها ذهب وأرضها خصب ورجالها لمن غلب.. ونساؤها لعب!

وسأل عمر بن الخطاب حكيماً رحالاً عن أهل مصر فقال: "وأما أرض مصر فأرض قوراء غوراء.. ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة.. تحمد بفضل نيلها.. وذمها أكثر من مدحها.. هواؤها راكد.. وحرها زائد.. وشرها وارد.. تكدر الألوان.. وتخيب الفطن.. (أى تقتل المبدع).. وتكثر فيها الأحن (أى الحقد) وهى معدن الذهب والجواهر والزمرد والأموال وغارس الغلات.. غير أنها تسمم الأبدان.. وتسود الأبشار (جمع بشرة الجلد) وتنمو فيها الأعمار.. وفى أهلها مكر ورياء، وخبث ودهاء وخديعة.. إلا أنها بلد مكسب لا بلد مسكن.. لترادف فتنها واتصال شروها ولمصر علاقة مع الحجاز.. والحجاز حاجز بين الشام واليمن.. والحجاز هواؤه مرور وليله سهور فيجف الجسم ويخفف الأدمغة ويشجع القلوب ويثبط الهمم ويبعث على الإحن (الحقد) وهو بلد محل قحط وضنك.." (كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر ص ٣٧١ الجزء الأول)

وقال المقريزى فى كتاب "المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار".. القاهرة ج١ ص ٧٩-٨٠

(قال العقل أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة وأنا معك.. وقال الشتاء: أنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة وأنا معك.. وقال الخصب: أنا لاحق بمصر؛ فقال الذل والهوان: وأنا معك)

وقال أبو الحسن على بن حسين على المسعودى فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ١٩٤٨ ج٢ ص

٦٢): "فى أهل مصر مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وفى أهلها صخب، وطاعتهم رهب، وسلامهم شغب، وحروبهم حرب (أى سلب ونهب) وهى لمن ومع من غلب"
ومما يروى عن مصر أن الله تعالى لما خلق الأشياء جعل كل شئ لشئ فقال الغنى أنا لاحق بمصر.. فقال الذل وأنا معك.. كما ورد ذلك عن المقريزى قال عنها أنها بلد مكسب..

وقال عنها الدكتور جمال حمدان فى كتابه مختارات من شخصية مصر: "نحن كشعب لابد لنا بصراحة أن نعترف.. لا نحب فقط أن نمجد ونطرى أنفسنا بحق وبغير حق.. ولكننا أيضاً نحب أن نسمع عن أنفسنا ما يرضينا ويعجبنا.. أو يرضى إعجابنا بذاتنا الوطنية وبشخصيتنا القومية.. بل إننا لنكره أشد الكره أن نسمع عن عيوبنا وشوائبنا.. ونرفض بإيباء أن نواجهها أو نواجه بها.. ولا تكاد توجد فضيلة أو ميزة على وجه الأرض إلا وننسبها إلى أنفسنا ونلصقها بها.. وأيما رذيلة أو عيب فينا.. إن هى وجدت على الإطلاق.. فلا محل لها لدينا من الإعراب أو الاعتراف.. وإن اعترفنا بها على مضض واستثناء.. فلها عندنا العذر الجاهز والمبرر والحجة القانعة أو المقنعة..!

وقال جمال حمدان أيضا: "إن مصر مخلوق فريد فذا حقيقة فهى بطريقة ما تنتمى إلى كل مكان دون أن تكون هناك تماما؛ فهى بالجغرافيا تقع فى أفريقيا، ولكنها تمت أيضاً إلى أسيا بالتاريخ.. فرعونية الجد ولكنها عربية الأب، ثم إنها بجسمها النهرى قوة بر، ولكنها بسواحلها قوة بحر.. وبذلك تضع قدمًا فى الأرض وقدمًا فى الماء.. وهى بجسمها النحيل تبدو مخلوقا أقل من قوى.. ولكن برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسًا أكثر من ضخم.. وهى توشك بعد هذا كله أن تكون مركزا مشتركا لثلاث دوائر مختلفة؛ فهى قلب العالم العربى وواسطة العالم الإسلامى وحجر الزاوية فى العالم الإفريقى)

آه يافتحى هى مصر قدرى وقدر لا مفر منه بشره وخيره.... هذه الحالة من الارتباك العقلى لدى المثقفين وجنون العظمة الذى أصابهم هو رد فعل طبيعى على هزيمتهم وسرقة أحلامهم وضبابية العدو الوهمى وخياناتهم لبعضهم وأنفسهم ووطنهم وخيانة الوطن والفكر لهم.. قال ابن عطاء الله السكندرى (من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من المواقف.. وترك الندم على مافعلته) رضى الله عنه.. أعتقد أن وجودك فى هذا الكون.. نفحة عطر وقبسة عشق وجنون و...

الفصل الثالث

الكتابة الجميلة جريمة
وغريبة فى زمن القبح والشر

فتحى رضوان خليل

وأظل أحلم طوال العمر بأن أعيش فى فرنسا وأن أكتب باللغة الفرنسية مباشرة لا العربية.. والحلم يبعد ويبعد وأظل على رصيف الحلم شقيا وبالحلم مكتفيا بعد أن خاب سعيى.... فى المساء تحتلنى وردة فى الروح لالون لها، ورائحتها بين السماء والأرض لايدركها إلا العارفين والواصلين والكاشفين وأنت حبيبتى.. . الكتابة مثل امرأة مزاجية تلعب بقلبك وفكرك طوال الوقت أو تغيب عنك وتختفى فى الزحام غاضبة منك ثم تبرق وتشرق لك وتتأبط ذراعيك وتشم عطرها وتنتشى

كنت أحلم وأنا فى الدراسة أن أكون الأول، لكن لم يحدث أبداً.. أذكر أن مرة واحدة كنت الأول وأنا فى مدرسة النهضة النوبية الإبتدائية ، وكنت فى الحادية عشرة من

العمر كنت أكره الرياضيات بشكل ملحوظ: الضرب والقسمة والطرح.. أبى يريد تعليمى إياها لزوم التجارة، ولابد من مدرس خاص يعلمنى إياها.. فكر فى مدرس وفكرت أمى فى عايدة ابنة خالة أم جرجس زوجة منسى أفندى المدرس الذى طلب من أبى لمبة كهرباء وافق أبى.. قال منسى افندى:

- تاخد منى كام ياحج؟

- علم فتحى القراية والكتابة واديله درس تقوية فى القراءة والكتابة والحساب...

نقلونى إلى مدرسة النهضة العلمية فى حي راغب باشا تحت رعاية الأستاذ منسى لأكون تحت بصره.. في المدرسة يوزعون علينا المعونة الامريكية كل طالب علبة مسلى وعلبة حليب جاف، وكل يوم وجبة باكو بسكويت وبلح وفول بالسمن أحيانا..

تحت بالكونة عايدة بلكونة يسكن المعلم سعد الترزى.. أخته هانم ١٦ سنة جميلة كانت تحب الجلوس مع عايدة.. كنت أثناء الدرس أنظر إلى مؤخرتي جارتينا (عايدة وهانم) تقف كل منهن فى البالكون بجوار بعضهما تتهامسان بينما المحبش ينظر من أعلى إلى نهودهن.. ذات يوم أخذت سندوتش حلاوة طحينية وحملت الكراسة ونزلت للدرس عند الأستاذ منسى فقال لى:

- بتاكل ايه يا فتحى

- سندوتش حلاوة يا أستاذ..

- اطلع اعملى سندوتش أنا كمان..

صعدت.. قلت لأمى:

- اعملى سندوتش للأستاذ منسى

فعملت سندوتش فأكله وقال:

- كل يوم ابقى هات لى سندوتش معاك...

عايدة وهانم حلم يراود المحبش كل ليلة؛ فهانم فتاة عذراء فى سن الربيع، وعايدة امرأة ناضجة مثل تفاحة حمراء.. كأن المحبش يقول في نفسه "يارب أنا ظمآن والماء ينساب أمامى"

ذات مرة صاح المحبش من فوق السطح بصوت يفضح الكون كأنه زلزال وقال:

- إيه المسخرة دى اللى عند عايدة ومنسى وقف يا ولد احنا مش قوادين..

ونزل من بيته إلى بيتنا، واقتحم شقة عايدة..

كان تلميذ فى الإعدادى قريب عايدة مزح مع هانم ودفعها على السرير فظن المحبش أن الولد يحاول أن يغتصبها؛ فصاح المحبش وهاج وماج واقتحم شقة عايدة وقال:

- حأبلغ المعلم سعد أخو هانم، وازاى الحاج رضوان يوافق على الكلام ده؟

وبعد تحقيق وتمحيص تبين أن عايدة يزورها ابن خالتها وهو طبعا مسيحى وهانم مسلمة.. عندها حاول المحبش أن يثير فتنة طائفية ويشيع أن عايدة تسهل علاقة حب بين شاب مسيحى وفتاة مسلمة، قال أبى الحاج رضوان:

- بلاش كلام فارغ...

ثم قال للمعلم سعد:

- زوِّج اختك يا معلم سعد

وفشلت محاولة المحبش لإثارة الفتنة الطائفية، وانتقلت عايدة بجمالها إلى مكان آخر.. حى آخر وبيت آخر ليسطع نورها هناك، ويختفى ضوء أنثى جميلة من بيتنا ومن حارتنا ومن محرم بك.. أما هانم زوَّجها أخوها المعلم سعد من إسكافى حتى يلم الفضيحة الوهمية التى صنعها المحبش.. تزوجت أجمل بنتين فى الحارة والشارع (هانم ونوال) من إسكافية.. لقد حبس الإسكافية الجميلات فى أحذيتهن.. وهجر الجمال بيتنا وحارتنا وأصبحت حارتنا ونحن يتامى الجمال النسوى الرائع اللازم للحياة..

***

قابلت المحبش جارنا، وهو يسير بجانب قسم الشرطة؛ قلت له وأنا أقف فى صف المتطوعين:

- عم المحبش قل لأمى إنى قررت أن أكون فدائيا لأحمى مصر من الغزو الإسرائيلى الذى قتل ٢٠ ألف جنديا مصريا فى ست ساعات واحتل السويس والإسماعيلية وبورسعيد وضفة القناة.. والإسكندرية أيضًا مهددة بالاحتلال عن طريق البحر.. قالوا الإسكندرية مهددة بغزو ضفادع بشرية إسرائيلية

أعطونى أنا والشباب المتطوع كل واحد بندقية (ترجع إلى عهد الملك فؤاد وهي من بقايا أسلحة الجيش الإنجليزي.. ثقيلة جدًّا كأنها جبل نحمله على كواهلنا لقد ورمت أكتافنا ونحن لا ندري من كثرة الحماس.. ولقد رأينا على كعب البندقية كلمة "جيش مصر – الملك فؤاد" أي عام ١٩٣٥.. كيف يقاوم جيشنا إسرائيل في ١٩٦٧ بأسلحة صنعت عام ١٩٣٥.. سألت نفسي هذا السؤال وأنا أسير من ساحة الاستاد في حي محرم بك إلى شاطىء الأزاريطة في حي محطة الرمل..

توجهوا بنا من استاد الاسكندرية إلى البحر دون طعام أو ماء، ونحن حاملين تلك البندقية الثقيلة جدًّا التي تحتوي على ثلاث طلقات لنراقب البحر وندحر إسرائيل.. شاهدت صديقى محمد حسونة على البحر يمر صدفة.. حقًا.. أنا رجل من أهل الصدفة.. كل حياتى صدفة.. صرخت فى وجه محمد حسونة صديقى: "لا أقبل أن تحتل إسرائيل الإسكندرية.. هذه إسكندريتى.. وهذا البحر لى.. ألقيت بقلبى وروحى على أمواج بحر الإسكندرية فبكت.. وهمست كل الأمواج لى بوجع كل العاشقين.. عشاق الوطن وعشاق العشق والحياة.. فى المساء سرحونا وأخذوا البنادق.. قالوا الجيش سيتولى الأمر.. ونحن سنتدرب على السلاح فى معسكرات.. حب الوطن أكبر خطيئة لأنه كائن هلامى يسكننا، ولو علمنا أن الله يرث الأرض وما عليها لعشقنا الله فقط.. هُزِمَت سوريا أيضاً واحتل الإسرائيليون الجولان والضفة الغربية من الأردن.. قال الأستاذ هيكل: إن الملك حسين خان عبد الناصر والأسد وأبلغ إسرائيل بموعد

الحرب وساعة الصفر.. وكتبت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل أيضاً في مذكراتها نفس الكلام.. الجيش السورى خلع سراويله وترك الجولان.. والجيش المصرى خلع سراويله وترك سيناء وغزة والعريش.. والجيش الأردنى خلع سراويله وترك الضفة.. هل.. هل الجيش العربى جيش من صلصال وورق مقوى؟.. أمجاد يا عرب أمجاد.. كلام قوّادين.. والجيش الإسرائيلى السرى خلع سراويله أمام هتلر وحرق هتلر اليهود فى المحرقة.. والجيش الألمانى خلع سراويله أمام الجيش الأمريكى والإنجليزى فى الحرب العالمية الثانية.. والجيش الأمريكى خلع سراويله أمام الجيش الفيتنامى تحت قيادة هوشى منه.. والجيش الفيتنامى خلع سراويله بعد الحرب وقرر التمتع بالقمار والملابس والاستيراد والتصدير وممارسة البغاء.. إنها حرب السراويل.. العالم والبشر حقراء يشربون دم بعضهم صبحًا ومساءً..

إسرائيل حقيقة وليست وهمًا كما قالوا.. هزمت ثلاثة جيوش عربية فى ٦ ساعات مصر وسوريا والاردن!! قالوا أمريكا ساعدتها؟؟ قالو إحنا مش قد الأمريكان وإحنا مش قد الباذنجان ولا قد تنظيف الشوارع من القذارة..

منذ نشأة القاهرة فى العهد الفاطمى فى خامس يوم بعد افتتاحها زارها المعز لدين الله الفاطمى فوجدها متسخة مزدحمة متربة وإلى الآن متسخة ومزدحمة ومتربة كما قال الجبرتى نعم حتى الآن.. إحنا شعب غلبان.. كيف نحارب ونحن لا نستطيع تنظيف شوارعنا من الزبالة؟؟!!

العربى لا يفلح فى شئ إلا مضاجعة النساء.. هذه أيضاً مقولة ثبت فشلها بعد أن كتبت القحبات الأجنبيات الأوربيات مذكراتهن مع العرب فى الفراش؛ فكانت سمعة العربى فى فراش الجنس صدفة وليست حرفة فمستواه ضعيف ومتردد وهمجى مثل الكلاب.. المرة الوحيدة التى حاول فيها انجاح جيش مصر كانت بكرباج محمد على الذى دربهم على القتال.. وضعوا فى أذن الفلاح المصرى اليمنى بصلة واليسرى قطعة قطن حتى يعرف اليمين من اليسار؛ فكانوا يقولون لف باتجاه أذنك التى بها البصلة

أو القطنة ولكن لم يتعلم المصريون فن القتال مع قائده التركى الألبانى العظيم إبراهيم بن محمد على وهزم الدنيا كلها.. وقال عمر مكرم لمحمد على لماذا رفضت الفرقة المصرية فى الجيش قال المصريون يدفعون ثمن العلف للخيول فقط مثلما أيام المماليك (أى يدفعون ضرائب فقط) وحتى ١٩٥٦ لم يكن لدينا جيشا مصريا .

بكى صلاح جاهين.. ظن أنه خدع الجماهير وكتب لهم أغانى صورة صورة وكتب على رأس بستان الاشتراكية وتفتت قلبه ألحانا.. مليون قطعة شعر ومليون لحن، وأطلق المصريون النكات.. منها واحدة خلفت عيل بعد ٣ سنين بدأ يمشى للخلف وليس للأمام فذهبت به للطبيب الذى ضحك قائلا لها ما تخافيش.. بيمشى للوراء لأنه سيصبح ضابط جيش؟؟

قتل الإسرائيليون آلاف الأسرى من الجيش المصرى الأسير فى سيناء.. قتل وحرق هتلر آلاف اليهود فى المحرقة... قتل الامريكان آلاف الآلاف فى هيروشيما باليابان بقنبلة ذرية.. قتل الفدائيون الفلسطينيون مئات اليهود.. قتل اليهود مئات وآلاف الفلسطينيين..

أعلن أنا "فتحى رضوان خليل" حتى لو هزمتنا إسرائيل والعالم كله والأمريكان لن أهزم أبدا أبدا.. أنا روح وصمود هذا الشعب المصرى العربى العنيد العبيط البليد التليد الغريب العجيب الحبيب الذى باسمه ومن روحه أستضيء وأبعث فى الكلمات ورد الحياة..

أنا رجل من أهل الصدفة.. ليس عندى مهارة ولا فكرة.. ولا أجندة أعمال السحر.. ولا قدرة على تغيير الأيام فحبك سيدتى فى حياتى ليس له عنوان وحب الجمال ليس حرفة لأنه فى زمن الندرة.. مدى يديك الدافئة العطرة احتضنى كفوفى الباردة المتلهفة يا قطتى أحيانا وأحيانا أنت نمرة.. كلما حاصرنى حب الوطن بنيران وأسهم حقده وحاول قتلى هربت منه تحت جلد النساء حتى أضمد جروحى قررت أن أكتب مذكرات شاب فى العشرين رواية ولم لا؟

الجمعة الأول :

الصباح أغنية عذبة الأنغام.. جاء كعادته بأشعته الذهبية يتسلق أهداب الكون.. يختال في الدروب.. هذه بداية رحلته.. لينتهي هو فى الغروب.. أخذت أشعة الشمس تتسلق جدار نافذتى وترمى البقع الذهبية فى أركان الغرفة.. إنها غرفتى.. استيقظت.. تحركت ببطء.. سرت بخطوات ثقيلة مبعثرة فى أرجاء الغرفة.. كنت أتحرك ولا أعرف ماذا أريد؟ قررت أخيراً أن أفتح الباب.. باب الغرفة.. لقد نسيت أن للغرفة باباً.. شعرت بقلق عميق فى أعماقى.. يحرك اشتياقى لشىء ما.. لا أعرفه.. تجهله نفسى.. تسللت داخل أعماقى أحاول أن أهدأ من هذا التوتر.. لكنى وجدت أن أعصابى مشدودة.. مشحونة بقلق شاحب اللون.. أخذت أحاول أن أهدئ التوتر.. لكنى وجدت متاهات الألم قد نحتت فىّ أشياء غامضة.. ماذا أفعل؟.. لا شئ سوى الهروب.. لا يمكن لا أدرى لا أعرف ما العمل؟ ما الخلاص؟؟

أخذت أخلع ملابس النوم استعدادًا لكى أرتدى ملابس الخروج.. ملابس الهروب.. كل شئ فيّ يهدأ عندما أستغرق فى النوم ما عدا أعماقى التى لا تهدأ كدوامة نهر مجنون الأنفاس متخبطة المزاج.. آه يا جسدى النحيل.. أنت دائماً تجعلنى ألعوبة الرياح ونزلات البرد.. انتهيت من ارتداء ملابسى.. فتحت النافذة لأستقبل الصباح وقبلات نسيم البحر المفعمة بأغنيات الطيور الضالة الحزينة التى تبحث بين الأمواج.. تبحث عن عروس البحر التائهة..

وضعت بقايا طعام الأمس أمامى وجلست آكل.. هكذا العزاب فى معظم حياتهم يضعون بقايا طعام العشاء أمامهم حتى لا يفكرون فيما سيأكلون أو يشربون فى الصباح.. فجأة وجدت يدى تبطئ فى الأكل.. لقد اعتدت أن تمتد يدى إلى الطعام بسرعة.. لابد أن أحداً يراقبها.. أخذت أبحث فى الغرفة.. نظرت إلى السقف لم أجد شيئاً.. نظرت إلى أحد الأركان.. وجدت أن الذباب يلهو فى قطعة عظم ملقاة.. نظرت بسرعة إلى النافذة وجدت رجلاً واقفاً أمامى يطل علىّ من سطح أحد المنازل.. قصيراً.. لا يرتدى

جاكت بيجامة.. فانلة سواريه.. حاولت أن أستغرق فى الطعام ولا أنتبه إليه وجدت عينيه أمامى على الرغيف الثانى.. حاولت أن أطردهما رفضتا أن تتحركا.. قررت أن أبصق عليهما لكنهما رفضتا.. وفعلاً بصقت.. هذا الرجل يقف دائماً هكذا.. يطل علىّ.. لماذا يراقبنى هذا الرجل ومن يكون.. أهبط الآن من على السلم.. أنا ممن يصنعون ضوضاء أثناء صعودهم وهبوطهم.. دائماً أريد أن أشعر أننى من الأحياء.. أو أثبت لنفسى أني شئ على الأرض.. خطوات فى الشارع.. شارع إبراهيم رأفت بحي جليم.. إنه المكان الذى يحتوينى ولا أحتويه.. إنه منزلى.. ليس ملكى أنا مستأجر شقة مفروشة.. الإسكندرية مدينة الشقق المفروشة.. هكذا جعلها البحر.. كل المدن الساحلية شقق مفروشة وأُناس يرحلون.. وقفت على محطة الترام.. درجة ثانية ركوبى المعتاد.. أنا أحمل اشتراكا.. كان الناس منتعشين.. نعم فاليوم يوم الجمعة.. ركبت الترام.. ركب معي في نفس العربة رجل ومعه زوجته.. أما أنا فليس لي زوجة مثل كل من ركبوا معي في ذلك الصبح حتى أشعر بالانتعاش..

مر الكمسارى فى عربة الترام التي استقلها.

- تذاكر.. تذاكر يا أستاذ

لم أرد عليه.. مد يده وأخذ يهز كتفى

- تذاكر يا أستاذ

أخرجت الاشتراك بصمت.. نظر له وهو يحاول بجهد كبير أن يرى ملامح صورتى ليتحقق من أنني صاحب الاشتراك.. ترام الرمل، غير ترام البلد.. ركاب ترام البلد نجارون.. حدادون.. بائعون.. بائعو أوراق الحظ ورق اليانصيب.. عشوائيون.. بقايا المجتمع.. الفقراء بعضهم لا يحمل شهادة ميلاد وبعضهم لا يحمل هوية.. لا يحلمون إلا برغيف الخبز ولا يعرفون وزيرا ولا يعلمون من يحكم البلاد هل الملك فاروق أم عبد الناصر أم أنا.. ترام البلد.. رجال بملابس بلدية زى ريفنا الأصيل.. نساء يرتدين ملابس غير التى نراها فى ترام الرمل.. رائحة الركاب منفرة.. أعتقد أنهم لا يستحمون

إلا مرة كل شهر، أو عندما يمارسون الجنس بالصدفة فيستحمون في الطشت وتلقي النساء ماء الطشت في الحارة في الصباح حتى يعلن أنهن مارسن الجنس واستحممن وعادة ما تقول النساء لمن تلقي الماء حمام الهنا يا حبيبتي..

أما ترام الرمل.. رجال ياقات "فان هوزن".. ملابس ذات رائحة جميلة تشعرك بأنك فى إحدى مدن أوروبا.. لهم وقار أبله..

ضوضاء ترام البلد شديدة.. تشعرك بالحياة.. باعة متجولون.. يتحدث كل منهم إلى الآخر بصوت عال، أو يفتعلون مشاجرة من أجل رجل حاول التحرش الجنسي بأنثى في الزحام.. والكل يدَّعى الفضيلة ولكنها كاذبة في أغلب الأحوال.. إنها تدخل في باب شهامة أهل البلد والحقيقة ليست كذلك إنهم ينفسون عن الإحباط كأنهم ليسوا أبناء الله على الأرض بل أبناء الشيطان الفقر الذي وأد أحلامهم فصاروا أعداء بعضهم بلا سبب.. أما ضوضاء ترام الرمل مذبوحة.. صمت مطبق.. بشر لا يتحدثون.. بل عيون تتحسس ملابس بعضها.. فتاة تنظر لفتاة أو فتى بملابس أنيقة..

دخل العربة شخص أعرفه، ولكنى نسيت اسمه.. إذًا لا داعى أن أنظر له.. جلس أمامى.. لم تكن لى رغبة فى أن يصافحنى.. أخذ ينظر لى.. يتفحصنى.. يحاول أن يمسك نظرة من عينى.. كانت عينى للأسف ملتصقة بالنافذة تطل على الشارع.. كانت نصف عينيه علىّ والنصف الآخر ملتصق على أقدام امرأة جميلة تجلس فى آخر العربة.. نزلت فى ميدان محطة الرمل.. الازدحام والناس.. الضوضاء.. الشمس المزهوة ببريقها تختال فى كل مكان.. وقفت أمام بائع جرائد.. وجدت مجلات وجرائد كثيرة.. فجأة لمحت سارتر يبتسم لى من أحد الكتب.. ما هذا.. مسرحية "سجناء الطونا" كم أنت شهير أيها الفيلسوف الفرنسى.. إننى أحاول دائماً أن أفهمك.. وبينما أنا على هذا الحال اشتريت المسرحية.. طلعت فتاة عارية من مجلة وغمزت بعينها لى.. لا لن أتقدم لشرائك كفانا ما يحدث مع زميلتك الأخرى سيمون دى بوفوار التى غيرت سارتر.

- أهلاً.. غير معقول.. مين فتحي.. كيف حالك؟

من هذا الشخص؟. إننى لا أعرفه.. إنه يعرف اسمى إنه يضغط على يدى بقوة.. إنه يعرف جزءًا من حياتى.. يسألنى عن بعض الأصدقاء المقربين لى:

- الحمد لله.. كيف حالك أنت؟

تحدثت بشكل مرضى إلى حد ما.. هبطت فتاة الصورة العارية وراحت بدلال وتودد تلعب بيديها فى أنفي حتى شعرت أنى انتهيت تماماً.. أخذ إيليا أبو ماضى ينفخ فى أذنى بكلماته.. راحت أنفاس جبران خليل جبران تحرك قلبى.. راحت يد ميشلين تداعب وجهى.. راح عقل مارى يصنع خلايا التفكير الجديدة فىّ.. راح ميخائيل نعيمة يداعب جبينى، وراحت زوجة موسى النبى راعية الغنم تدعو لى، والعذراء تباركنى، وعائشة زوجة محمد عليه الصلاة والسلام تستغفر لى.. هبطت فتاة الصورة العارية من الصورة أخذت تحاول أن تخطفنى.. ولكن تدخل الأنبياء موسى وعيسى ومحمد وإبراهيم أبو الأنبياء أنقذونى بالدعاء إلى الله الذى استجاب لهم وأنقذنى، بينما هى تحاول أن تخطفنى.. طرق الباب شخص ما.. فزعت هى.. وعادت إلى الصورة. فتحت الباب وأنا اخجل من منظرى.. شهقت:

- من؟

- أنا..

- غير معقول..

- بل إنه معقول..

دخل قابيل بن آدم عليه السلام، وقال:

- أنت حفيدى؛ فأنتم أحفادى وأنا القاتل..

أمسك يدى وقفل الكتاب، وراح يداعب فتاة الصورة العارية بيديه؛ فتركت الصورة ونزلت عارية.. قمت فجأة وقلت:

- يا جدى قابيل دعك من هذا.. إنها.. عارية.. إنها ساقطة

ابتسم وقال:

- أغلق علىّ الباب، وحذار أن تكثر من قراءة الأشعار..

تركته، وأغلقت الباب، وأنا أسمع الفتاة تصرخ بالداخل.. كان يغتصبها...

....

....

يوم السبت الأول: [إيفون تعذب س]

صوت انفجار فى الشارع.. قمت من النوم متضايقاً، وجدت الصباح واقفاً فى وجهى حاول أن يهدئنى فسمعت كلامه.. لم أنظر إلى الشارع لا أعرف ما سر الانفجار. نظرت حولى.. وجدت (س) من؟ أنت أيها الصديق.. لقد نمت كثيراً.. بالأمس أتى (س) من القاهرة.. أتى هارباً.. إنه الباحث عن الحب، الباحث عن شئ.. يريد أن يهتم بأى شئ ويفضل أن يكون الحب.. الحب وعلى استعداد أن يقدم حياته فداءً له.. نظرت له، وجدت كيوبيد ينظر له ويبتسم؛ فهمست فى أذنه: "يا أيها الإله العزيز كيوبيد ساعده على أن يستريح إنه مازال صغيرًا".. ضحك الإله، واختفى.. فتحت النافذة.. ألقت أشعة الشمس نفسها فى الحجرة بلا استئذان وجلست هنا وهناك فوق كل الأماكن.. ما هذه الكميات من الأشعة.. لابد أن اليوم فى منتصفه.. بدأت أحرك صديقى (س) كانت عربة.. قد انفجر عجلها الكاوتشوك.. إطار السيارات كالقنبلة.. والقنبلة ليست كإطار السيارات

- صباح الخير

- صباح النور

وبدأنا فى النزول إلى الشارع.. همست لصديقى قبل أن ننزل بقصة الرجل القصير الذى يطل علىّ ويطيل الوقوف.. اقترح صديقى أن نقوم بمشاغبته.. رفضت.. الترام دفعت ثمن تذكرة ركوبه إنه مفلس..

- هل أنت مفلس..؟

- نعم..
- كيف جئت من القاهرة – بلا نقود– كيف ركبت القطار؟
- عندما جاء الكمسارى بكيت له واشتكيت حالى فرفق بى
- وكيف وافق؟
- نعم وافق لقد رآني ألبس ملابس ثرية
- من أين أتيت بهذه الملابس الثرية يا ملعون؟
- أخذتها كديون.. لابد أن نلبس ملابس فاخرة مثل الأغنياء

ضحكت.. أصبحت الحياة مظاهر.. الملابس والأناقة هما عنوان الإنسان.. أناقة لا ثقافة.. لا شئ يهم بعد ذلك.. نزلنا فى محطة كيلوباترة الحمامات.. وعند نزولنا وجدنا حاشية الملكة كليوباترة واقفة والجميع فى انتظارنا، وأخذت الأبواق تدق وتعلن قدومنا.. ولكن لم ينظر إلينا أحد إلا عابر، والملكة كليوباترة كانت هناك مع ألف كليوباترة واقفة.. بدأنا نغازلهم ونداعبهم.. دخلنا مطعمًا صغيرًا.. اشترينا سندويتشات "فول" وأكلنا..

سرنا على الشاطئ.. ما أجملك أيها الشاطئ الأحمق.. سرنا على سور الشاطئ.. أتعرف أيها الشاطئ أنك أحمق لأنك خال من الناس فى الشتاء.. غضب الشاطئ فجأة وزمجر.. وبدأت الأمواج ترتفع وحمل الريح على يده بموجة قذفت المياه فى وجهينا.. جرينا إلى الشارع، وأخرجنا ألسنتنا له فأخذت الريح تلعب بنا.. أخذنا نقاومها ونجرى ونخرج ألسنتنا لها.. عادت الريح ساكنة وارتمت فى أحضان البحر بخيبة أمل لأنها لم تلحق بنا.. أخذنا نضحك أنا وهو..

شارع الكورنيش خال تماماً.. ليس هناك أحد شعرت بأننى غريب بدأت أعزف بالصفير لحن (غرباء فى الليل) وبدأت قطرات من الأمطار خفيفة تسقط والبرد قارس.. للأسف أصبحت الطبيعة لها مزاج شخصى تتصرف كما تشاء.. أخذتنى النشوة وفى داخلى سرت الهمة فشعرت بأننى منتعش وجدنا عربة أمامنا (مرسيدس) نظرنا فيها.. فتاة

جميلة جدًّا.. وقفنا ننظر إلى الفتاة بإعجاب.. كانت رائعة كحلم ليلة صيف تلبس (مينى جيب) وقف (س) يطرق زجاج السيارة.. أخذت تبتسم واللحن يجعلنى كأنى أقفز من على الأرض.. أخذ صديقى يدور حول الفتاة فى السيارة من الأمام والخلف وحينما تنظر من الجانب ينظر لها.. والأمطار الخفيفة تتساقط كأوراق الخريف فى انتعاش وسخرية والابتسامة فى شفتى تتراقص والفتى (س) يحاول أن يفتح باب السيارة والفتاة تصرخ داخل السيارة، وهو يرسل قبلاته فى الهواء.. طلبت منه العدول عن هذا السخف.. بدأت الفتاة تضرب نفير السيارة، والفتى مستمر فى مطاردتها.. نظر أحد الرجال العمالقة من أعلى.. نظرنا له.. جرينا.. أخذت الفتاة تضحك بينما لوَّح هو بإشارة الوداع لوَّحت أنا الآخر معه.

معى فى جيبى حوالى ٦٠ قرشاً.. لابد من الاحتفال بهذا المشاغب الباحث عن الحب، وبينما نحن عائدون وجدت محلًا للجزارة.. وقفت لشراء نصف كيلو لحم.. واشتريت عيشًا وعدت إلى المنزل. بعد الظهر تناولنا الطعام.. نام (س) على السرير ولمحت فى عينيه نظرة حزينة وكأن جفونه تمنع الدموع من السقوط؛ فأشفقت عليه بنظرة خاطفة، وصمتُّ.. امتعضت شفتاه ومدها ثم ضغط عليها بأسنانه وقال:

- أنت لم تسألنى لماذا أتيت..

ابتسمت وفكرت

- لماذا أتيت؟
- من أجل فتاة أحبها..
- فتاة!! مازلت تبحث عن الحب بعد كل هذه المشاغبات والبنات مازلت تبحث عن فتاة؟

هنا ظهر كيوبيد وجلس بجواره.. فأمد (س) قدمه على السرير ليستريح فأمد كيوبيد قدمه أيضاً.. لابد أنها الفتاة التى أرسل لها خطاباً يسبها ويخبرها أنها ابنة سائق عربة حصان، بعد أن رفضت حبه لأنه مازال صغيرًا..

- أنا صُدمت فى حياتى أكثر من اللازم.. لقد فشلت فى حبى الأول وأنت تعلم وأحببت ثانياً (هنا أخذتنى الدهشة بل وجدت أن عينى قد جحظت فحاولت إرجاعها إلى موضعها الأول بجهد) – من التى أحببتها.. – إيفون!.. إيفون فتاة أوربية هكذا رأيتها فى الصورة.. مازالت فى المرحلة الثانوية.. نضرة.. متفتحة.. مثيرة.. منذ ستة شهور، خرجت إلى الشارع كعادتى، أحاول أن أثبت لهم أنّي نوع آخر غير أهل الشارع.. ربما لأنهم فقراء، ربما لأنهم غير مهذبين فى سلوكهم.. وجدتها أمامى وكعادتى السابقة سرت وغازلتها بأرق الكلمات وأطيبها وقلت لها قصيدة شعرية:

يا قمر ما بعدك أقمار ... حبك فى قلبى كالنار

أهداب عينيك كسار ... نظرته تجعلنى أحتار

ضحكت.. ضحكت من قلبى وامتدت الضحكات إلى كيوبيد الذى قهقه بلا رنين أو صدى ووجدت كل الأشياء تضحك.. الجدران من حولى..

نظر لى.. فغمز لى كيوبيد فقلت:

- هذه قصيدة حب من أين عثرت عليها؟
- فى كتاب..
- ماذا فعلت البنت..؟
- ضحكت هى.. ضحكت أنا.. وقفت هى وقفت أنا.. سارت سرت وهددتنى ويا له من صوت الأهه حلوة دى.. حلوة دى..

فابتسمت.. شعرت برغبة ملحة فى أن أشرب شاياً.. فقمت ودخلت المطبخ لإعداده جاء بصحبتي ليكمل الحديث.. ووقف على يمينى وبدأنا فى إعداد الشاى.. وأنا أحاول أن أشعل الموقد وجدته ينطفئ فأشعلت عود الكبريت.. واقتربت من الموقد فانطفأ ثم نظرت إلى يسارى فوجدت كيوبيد واقفاً بجوارى ابتسمت فابتسم؛ فتنحيت قليلاً حتى يجد

مكاناً بجوارنا، وأشعلت الموقد وبدأنا نجهز الشاى وأحضرت ثلاثة أكواب.. كوب لى وكوب لـ (س) وكوب لكيوبيد.. وأثناء إعدادي للشاي أكمل (س) حكايته قال:

- ذات يوم طلبت من أختى أن تأتى لى بمدرس للغة الفرنسية حيث أنى ضعيف جدًا؛ فأتت لى بمدرسة وفوجئت أنها إيفون.. صعقت.. ابتسمت وذبت أنا فى الابتسامة حتى تلاشيت فبدأت أختى تبحث عنى وتنادينى وأنا أحاول أن أجمع شتات نفسى ففشلت فاستطاعت إيفون أن تجمعنى بصوتها: اشرح يا أستاذ؟ وبدأت الدروس..

انتهيت من عمل الشاى، أخذته وبدأت الذهاب فى الغرفة.. جلسنا نشرب الشاى نحن الثلاثة..

- طلبت إيفون أن تبدأ في شرح الدرس لي، وبينما هي تشرح الدرس أخذت أضع رجلي بين فخذيها، فكانت تبعد ساقيها وتنظر لى وتضرب يدى، فما أحلى ضربها وساقيها.. "أيها المتعطش".. قدمت لها هدية.. فوجئت أنها تبكى فبكيت وأنا لا أعلم لماذا هى تبكى.. والحقيقة المذهلة.. إن أباها يعاملها بقسوة.. إنه سكير.. شعرت بأنها تكذب..

نظرت إلى كيوبيد.. فابتسم وهز رأسه مصدقا لقوله..

- أبوها الحوزي السكير لا يرعاها.. لم يمنحها يومًا أي مشاعر أبوية.. أصبحت أنا أباها.. أصبحت أنا العطف والحنان وفى صباح كل يوم أذهب معها إلى المدرسة
- ماذا بعد ذلك؟
- للأسف يا ليتنى لم أعطها شيئًا.. لقد عرض عليها غيرى أشياء أخرى أثمن وأقيم وأفضل فاستجابت لهذا وذاك.. لم تحب أحداً.. إنها تبحث عما ينقصها.. أصبحت كمراهقة تنتقل من شاب إلى شاب ومن تجربة إلى تجربة ومن حب إلى حب.. إننى جئت من أجل أن أحكي لك..

ابتسم كيوبيد.. ابتسمت.. نظرت من النافذة وجدت الرجل مازال واقفاً.. ذلك القصير الذى يراقب شقتى.. نزل صديقي (س) إلى الشارع بمفرده، وجلست وحدي فى الشقة أحاول أن أعرف سر قلقى.. ليس الجنس إلا مجرد هروب.. هروب من كل شئ.. لقد أعطيته نسخة من مفتاح الشقة ليعود إليها في أي وقت.. لقد وجع رأسى كفاية مع إيفون...

***

يوم الأحد الأول: (اللون الأبيض عقيم)

الصباح لوحة زاهية الألوان فى كل يوم تزداد بهاءً، ضياءً، صفاءً، سبحان الله خلقه وهو العظيم البديع.. الصباح دائمًا رقيق وحين يكون عاصفًا يكون كالحريق. بالأمس فى منتصف الليل أرقتنى أعماقى كعادتها. حاولت الهروب.. لم أجد فتاة الصورة المعلقة على خشب سريرى مازالت مستيقظة، بعد أن كانت غافلة.. بالأمس أتى صديقى (س) من القاهرة متعبًا.. هو يحب دائماً الهروب.. قررت أن أمسك كتابًا لأقرأ، للأسف كان كتاب تاريخ.. فتحت الكتاب.. لكن رميته سريعاً على الأرض، وحاولت أن أنام.. وقع الكتاب على الأرض فاهتز.. اهتزت أطرافى وارتعد جسدى على صوت ضحكة هزت جدران المنزل.

- من؟.. من الذى يضحك؟

قام صديقى مفزوعًا، وهو يغطى رأسه خوفاً

- ما هذا؟.. ما هذا..؟

تقدم نحوي رجل طويل القامة عريض المنكبين يحمل سيفاً وهو يصيح:

- قم يا فتى وجهِّز لى طعاماً

قمت وأنا أرتعد:

- من أنت يا سيدى؟

ارتعش كل شئ حتى الحروف أخذت تسقط من فمى وتتجمع من فوق الأرض فى أحد أركان الحجرة.. تمتد أذنى لمعرفة من صاحب الصوت.

- يا ويلى.. ما الذى يحدث هنا..؟

هكذا كان صديقى يتحدث وهو تحت الغطاء

- أنا السلطان سليم الأول

- من؟

انتابنا الصمت (أنا وصديقي) واستطاعت الحروف أن تتجمع بسرعة خاطفة إلى فمى.. "السلطان سليم الأول"..؟!!

أخذ صديقى يختبئ أكثر فى الغطاء وهو يقول:

- أنت تضحك علينا.. أيها اللص، وجئت متنكراً فى هذه الملابس.

صرخ

- كلا

ارتعد صديقى، وارتعدت أنا بينما أحاول إغماض عينى.. صاح السلطان سليم الأول:

- فلتقم أنت وهو..

قمنا تحركنا ونحن نرتعد بشكل جنونى وسقطنا على الأرض من شدة الفزع.

- أعدوا لى طعاماً وشراباً..

زحفنا على الأرض وأخذنا نحاول الوصول إلى المطبخ.. همست لصديقى:

- هل أنا نائم؟.. هل أنا أحلم؟.. هل شاهدته؟

- نعم شاهدته (همس وهو يرتعد) نعم شاهدته ملابسه غارقة فى الدماء.. عيناه جاحظة كالنسر أو البوم

اتجهت للمطبخ أنا وصديقى.. همست له:

- أى طعام سيأكله؟

- لا أعرف

- اذهب لتسأله.. اسأله مولاى السلطان سليم الأول ماذا تأكل

قال صديقى وهو يرتجف:

- نعم.. ماذا تقول؟.. ولماذا أنا بالذات؟ يا ليتنى لم آت إلى هنا.. أنا لم آت لكى تقتلنى وتخيفنى بهذا العفريت

- اذهب وإلا..

مشى خطوتين، وهو يزحف وهمس بصوت لا يسمعه إلا هو

- يا سيدى ماذا تأكل

صرخت فيه: "ارفع صوتك عاليًا".. وبالفعل صرخ

قال سليم الأول:

- أشرب أى مشروب بدلاً من الطعام.

قمت ووضعت البراد على البوتاجاز.. يدى ترتعد.. البوتاجاز يرتعد.. البوتاجاز غير مشتعل.. نسيت أن أشعله.. بالفعل أشعلته.. البراد ليس به ماء.. عدت فوضعت الماء.. نعم أسقيه الشاى.. الشاى مشروب لا يعرفه سليم الأول

- ضع شيئاً كبيراً غير هذا.. (هكذا صاح السلطان سليم)

وضعت إناءً كبيراً على البوتاجاز وبدأت فى إعداد الشاى.. فرغنا من شرب الشاى بل هو الذي فرغ من شربه. ارتشف الإناء دفعة واحدة رغم سخونته

- أين صديقك؟

أجبت على الفور

- فى دورة المياه.. أصابه إسهال مفاجئ.

ضحك.. ضحكة بعثرتنى.. حاولت أن أجمع نفسى بأن أسأله

- ما هذا الدم الذى على ملابسك؟

- دم السلطان الغورى.. دم المماليك..

دم المماليك الأبرياء.. دم النساء والرجال والأطفال.. دم الفلاحين الطيبين فى هذه الأرض.. دم الإنسان الضعيف هكذا يباح للأقوياء قتل الضعفاء يا عصور فوضوية.. يا مهزلة البشر يا عصور بربرية.

- أنا ذاهب.
- إلى أين؟
- إلى لبنان.
- لماذا؟

قال وهو يضحك بشكل يدعو للخوف:

- لكى أذبح فخر الدين
- ألم تشبع من الذبح؟
- سأجعل شخصاً آخر يفعل ذلك
- من؟
- السلطان محمود الثانى سيذبحه وأنا أرغب فى مشاهدة عملية الذبح

يا فخر الدين.. أيها الإنسان التقدمى.. ستذبح.. ضحكوا عليك بالعودة مرة ثانية إلى لبنان.. ضحكوا عليك.. استطاعوا أن يجعلوك محل قبضتهم.. يا ويلك يا فتى، هكذا يموت الثوار بلا صوت.

"أنا أتلاشى.. أشعر بأننى غير موجود.. ربما أكون ذبت فى الأشعة ورحت أذهب إلى السماء لكى أركع تحت أقدام الإله أخبره عن رغبتى فى أن أكون شيئاً بدلاً من كونى لا شئ"

أشحت بوجهي عن سليم الأول، ووجدت خطابًا على المكتب.. إنه خطاب من ليبيا من صديق لى أرسلت له عدة خطابات من قبل، منذ عدة أشهر..

سقطت عيناي على السطر الأول

يا أيها الإنسان

ما أجمل هذه الكلمة عندما يصبح الإنسان إنساناً أو يوجد إنسان بالفعل فى الوجود
استغرقت فى السطر الثانى:

الليل نعش أسود مصنوع من عظام الموتى، مثل مدينتى بنغازى بدعة تاريخية رغم ضآلتها ورغم ثوب العفونة الذى يطويها، ورغم كل شئ فهى بدعة تاريخية تحتضر فى ذلك النعش.. أما أنا فأختبئ في شقوق ذلك الليل.. أجهد نفسى بكلمات تحتاج إلى كثير من الوقود.. الوقود الذى يلد الكلمات الراثية لمدينتى بنغازى البدعة التاريخية.

وجدت نفسى قد غرقت فى السطر السابع دون أن أدرى.. لماذا أنت حزين يا صديقى الليبى؟.. إن أرضك تنبت ذهباً.. لماذا أنت هكذا وقررت أن أدع نفسى تستغرق فى الخطاب..

أخى الإنسان الثائر

مهلاً يا صديقى فأنت مجهد تمامًا؛ فأنت رغم ضآلتك إلا أنك لا تحمل بضاعة جيدة بها وقود خطر لأولئك الغوغائيين.. تمهل قليلاً يا أخي، وانظر إلى بقية النعاج فى العالم ماذا يفعلون..؟

سأحاول أن أقص عليك قصة بسيطة تحدث فى كل ثانية زمنية..

نعم كنت فى حاجة لأن أهرب فى قصة.. القصة حدثت فى أمريكا تحت ستار الديموقراطية:

اسمه لويس أبولونيا، مهنته رسام وشاعر وفيلسوف، وشعاره فى الانتخابات صورته العارية تماماً فوق جملة "ليس لدى شئ أخفيه" إذا تم انتخاب هذا المرشح الجديد فى الانتخابات الأمريكية أمام "هنرى نيكسون" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية..

هبطت إلى أمريكا إلى الدمعة الحزينة فى عينها إلى تمثال الحرية الذى يشكو لى مهزلة التقدم المادى.. هبطت إلى لويس أبولونيا

- ماذا ستفعل يا لويس إذا فزت فى الانتخابات الأمريكية؟

- سأقوم بطلاء البيت الأبيض باللون اللاوندى الفاتح الزرقة.
- لماذا؟
- لأن اللون الأبيض عقيم وخال من البهجة والمرء لا يستطيع أن يشعر بالحب تجاه أربعة جدران بيضاء..

"يا أيتها الجدران هل أنت حقاً دليل أشياء خفية.. هل هناك معنى لك غير تلك الألوان.. أنا لا أدرى لا أدرى حقاً.."

- وماذا ستفعل بعد ذلك يا لويس؟
- سأدعو "كوسيجن" رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لزيارة واشنطن وأجعله يقضى معى وقتاً طيباً حافلاً بالمرح نلعب فيه على الجليد بغية التزحلق ونقوم برحلة صيد بعد ذلك فى موسكو..

الأحلام.. الأحلام.. وما أكثرها حين تغرق الإنسان وتجعله يشعر بالسعادة حين يهرب إليها ولا يعود للواقع الأليم.. حلمك يا لويس يا أخى الشاب الجميل.. غمز لى الشاب الليبى وهو يتحدث معى..

- يمكنك أن تسأله ماذا سيفعل مع شباب دولته.. وماذا ستفعل مع شباب أمريكا..؟

ابتسم لويس بنشوة وعزيمة طيبة:

- سأرسلهم بل سأرسل كل من يرغب فى السفر من شبان أمريكا إلى الخارج على نفقة الدولة لكى يتعرفوا على إخوانهم فى بقية القارات، وأعمل كل ما فى وسعى بحيث أتيح لكل فرد فى الولايات المتحدة الأمريكية فرصة لمزاولة هواية فنية محدودة أغرقوا الفن فى النفوس.. طهروا النفوس.. إنه الخلاص للإنسان ولعفونة الفن فلتزيلوا سحابات الغيوم.

قال صديقى الليبى وهو يمتعض: "وماذا عن فيتنام؟".. دوى فى الحال صراخ آلاف القنابل.. صراخ طفل يموت تحت أنقاض منزل يستغيث بأنة الصراخ.. لا يعرف

الكلمات.. يستغيث بأنة جريح، بينما أمه قد سقطت بلا أنفاس، مشوهة عليها تراكم التراب والحجارة.

راحت أصوات تتعالى من السويد من باريس.. من موسكو: "أنقذوا الإنسان فى فيتنام".. يا فيتنام يا صرختى.. يا حرقتى.. يا سبب لوعتى فى المساء.. أنا لا أدرى كيف يذبح الأقوياء الضعفاء.. هل مات الضمير الإنسانى فى لحظة صماء؟.. هل أصبحت الحياة حرباً بلا حياء؟.. يا شجيرات الصمود والعناد والانتصار انتشرى فى كل مكان.. أعلنى أن الضعفاء أقوياء.. امتدى إلى السماء.. يا أيها البوذيون يا من تحرقون أنفسكم استنكارا للحرب..

هناك أطفال يزرعون بأنفسهم نغمات حزينة.. دموع حزينة.. هناك فى فيتنام.. أم فقدت رضيعها فى لحظة جنون.. يا فيتنام يا شعرى المجنون.. يا همستى فى الليل يا صرخة الويل.

يا فنون العالم.. شاهدوا لوحة الفنان فى فيتنام.. لوحاته على الطرقات فى الشوارع.. فى كل ميدان.. أطفالا قد تركوا صوت الطفولة البرىء وحملوا صوت الرجولة الجرىء، فلتجمعوا الثعابين، فلتحرقوا خيامهم.. فلتزيلوا الحقد من طريقهم.. أوقفوا المهزلة أيها البشر فى كل مكان.. مهزلة الإنسان مهزلة الحرب والتشريد.

كفانا.. كفانا.. كفانا تمزق.. كفانا تشويه.. يا أبناء المسيح.. مهزلة الإنسان فى كل مكان.. أوقفوا ذبح الإنسان وتشريد الأطفال والنساء.. كفانا ما حدث يا أصدقاء.. يا شباب موسكو فى الكمسمول أعلنوا اللافتات.. بالأصوات.. بالمظاهرات.. يا شباب واشنطن أعلنوا بالصياح والهتاف.. يا شباب باريس أعلنوا بقوتكم بأنفسكم: إننا لا نرغب فى إنفاق الأموال على السلاح.. كفانا سلاحا.. أنفقوا الأموال على الفقراء.. على العلم.. على النهوض بالإنسان فى أحراش أفريقيا.. فى صحراء آسيا.. أنفقوا الأموال على الأراضى غير القابلة للزراعة.. إن العالم يحتاج إلى الكثير..

- وماذا ستفعل يا لويس فى فيتنام؟

- سآمر الجنود بالكف عن إلقاء القنابل النابالم وإغراق الفيت كونج بالزهور والعطور فى استعراض ودى ولتغرق الطائرات الحربية فيتنام بالزهور تقديراً للإنسان ولترسل آلاف الملايين من الدولارات للنهوض والاستصلاح وسأرسل لجميع دول العالم من البيض اللاوندى الفاتح الزرقة بياناً بإعلان الحب.

قلت وأنا بى رغبة ملحة:

- وماذا ستفعل بالداخل؟

قال وهو يضغط على شفتيه:

- سأقوم بطرد السياسيين وإعادتهم للعمل فى الحدائق العامة ليزرعوا الورود ربما تنبت زهرة حب فى داخلهم أو تموت زهورهم.

وبدأت أتنفس.. أريد أن أستريح من هذا الكلام.. إنها لمسة حقيقية من السخرية.. قال صديقى لي..

قمت من النوم مفزوعًا، وأنا أصيح: "لعن الله السياسة ووجع الرأس".. أصرخ: "كل هذا تراكم الليل".. عبد الناصر يرغب فى إعطاء الشباب فرصة التعمير.. هكذا تشير الصحف، ولكن.. كيف؟ أنا لا أرى تغييرًا ولا تعميرا بعد النكسة.. كتبت رسالة لعبد الناصر أسأله:

"إنَّ أحلامى كلها سياسية؛ فأخبرنى يا سيدى الرئيس عبد الناصر ماذا سيفعل شاب فى العشرين فى أحلامه السياسية؟.

الفصل الرابع

الأيام التى تشبه بعضها هى دليل انهيار المجتمع..

فتحى رضوان خليل

حين أرغب أن أناديك بلادى.. أناديك بلائى

عندما كنت تلميذًا فى المرحلة الإعدادية، كرهت ثلاث حصص: الرياضة، واللغة الإنجليزية، وحصة النحو فى اللغة العربية.. اتجهت للتمثيل فى الصف الثانى الإعدادى، وكتبت اسكتشات وأخرجتها.. أذهلت المدرسة.. قام مدرس اللغة الفرنسية بإهدائي زجاجة عطر في وسط الطابور الصباحي لتميزي في حفل عيد العلم، وفوجىء كذلك مدرس الرسم الأستاذ إحسان بأننى كنت محور الرسوم التى رسمها الطلاب عندما طلبوا منهم رسم احتفالية عيد الأم.. الكل رسمنى لأننى أنا الذى قدمت شخصية الشيخ فرحات المعلم المظلوم الغلبان الذى يعلم الأولاد الجغرافيا والتاريخ، وأذكر أننى قلت فى الاسكتش: "أخذنا فى الجغرافيا الشمس بتمشى حافية حول الكرة الأرضية كلمة وأغنية ثلاثى أضواء المسرح (سمير غانم وجورج سيدهم والضيف أحمد)".. فى الإعدادى كنت أذهب إلى كتاب في حى غربال وأركب عربة حنطور بخمسة قروش وكان الشيخ فرحات حقيقة استلهمتها من واقع حي غربال أرض الفقراء والأثرياء والسحر والغجر وباقى أمراء أسرة محمد على..

فى المرحلة الثانوية اصطدمت بكراهيتى للأحياء كان الأستاذ (باسطة) مدرس الأحياء شديد القسوة وكان علينا تشريح الضفدعة ورسمها.. لم أستطع أن أشرِّح الضفدعة ولا أن أخدرها ولا أن أفتح بطنها.. كنت تلميذًا بليدًا فى الرياضيات.. حساب المثلثات.. نصف القطر.. والدوائر والمكعبات والجبر والجذر التربيعى.. أما في اللغة العربية فقد كنت أحب الأدب فقط الذى كان يستهوينى.. نحن التلاميذ لم نكن نحمل فقط الكتب في حقائبنا التى كنا نحملها على أكتافنا بل نحمل معها أيضاً هموم عائلاتنا وأحلامنا ومشاكل بيوتنا، وطوال الحصص نسبح فى الماضى والحاضر والمستقبل..

الذاكرة قليلًا ما تفتح أبوابها للدروس التى نتلقاها.. على الديسك فى الفصل نحفر أسماءنا بالمسطرة الحديدية أو بالبرجل.. كل واحد يحفر اسمه على الديسك الذي يجلس عليه، ربما لأننا نبحث عن تحقق أسمائنا.

حي غربال جزء من حي محرم بك، لم يطلقوا على الحي اسم حسن باشا الإسكندراني، ولا اسم ابنه محسن باشا، ولكن أسموا الحى باسم محرم بك.. اكتفوا فقط بإطلاق اسم حسن باشا الإسكندراني على شارع، وهو شارع الإسكندرانى.. من هو البيك هذا الذى يدعى محرم بك؟.. لا أحد يعرف من أهل الحي..

عندما تقدمت إلى اتحاد الطلاب لم أتوقع هذا النجاح فى ترشيحى من ٢٢٠٠ طالب فى مدرسة الإسكندرية الثانوية، ثم على مستوى المحافظة، ثم على وجه بحرى، ثم سكرتارية اتحاد طلاب الجمهورية.. أهل حي غربال دهشوا من عدد الطلاب الذين يأتون لبيتى، وكذلك كانت دهشة ساعى البريد الذي كان يحمل لي في كل يوم عشرات الرسائل.. أسمونى "الأستاذ".. وأسمونى "الريس".

....

....

فتحى رضوان خليل

العمر وردة تسقط منها الأيام ورقة ورقة فلا تبقى ولا نبقى

والحب وردة مهما حافظنا عليها تذبل ذات يوم ولا تبقى..

ناهد حجازى جاءتنى مسرعة فى مقر اتحاد الطلبة بشارع النبى دانيال وقالت:

- أنت يا فتحي بتطارد البنت اللبنانية فيفيان؟
- . ...
- ألا يكفيك حبى يا رجل..؟ أنت الشاب الثورى رئيس اتحاد الطلاب الناصرى القومى العربى يحب بنت لبنانية ويطاردها.. أنت اثنين فى واحد.. واحد بتاع نسوان والثانى ثورى؟؟؟

صمتٌّ فترة.. نعم ضيعت عمرى بين شفاه النساء الجميلات.. وضيعت قلبى فى وطن حقير اسمه مصر والوطن العربى.. هزم الاثنان فى ست ساعات عام ١٩٦٧.. ولم أدر أن فى العشق ابتلاء، وأنه مكتوب على جبينى منذ الميلاد.. سيدتى كم الساعة معك الآن.. الزمن الحلو قادم أم غائب عنى دون وداع؟؟ هل عقرب الساعة يتحرك للأمام أم للخلف؟.. أم اختفى من معصم قلوبنا وشعوبنا..

- نعم أحبك يا ناهد.. أنا مرتبك يا ناهد كلما قرأت تاريخ مصر ارتبكت.. انظرى فى عام ١٩٢٣ اختير إسماعيل صدقى باشا ليكون وزيرًا للداخلية لتزوير الانتخابات وتعبئة الإدارة والبوليس لتحقيق النتيجة التى يريدها الملك والإنجليز، ورغم كل بطش وقهر النظام وجلالة الملك صمد الشعب المصرى واختار الأغلبية حزب الوفد.. وفقد الملك فؤاد رشده وأقدم على الخطوة التى لم تسبق فى تاريخ الدساتير والنظم فى أى مكان فى العالم أو فى أى نظام أو زمان، وقرر أن يحل البرلمان المنتخب فى يوم انعقاده.. الطريف أن جلالة الملك فؤاد افتتح المجلس وألقى خطابًا رائعًا، وهو خطاب العرش، وفى جلسة المساء دخل رئيس الوزراء ليتلو مرسومًا ملكيًّا بحل مجلس النواب الذى لم يدم إلا ثمانى ساعات وعجبى.. الملك فؤاد مزدوج الشخصية.. الصبح مع مجلس النواب، وفى المساء ضده.

قامت ناهد بقوامها الممشوق الساحر الذى يخطف العقول ودارت فى المكتب:

- أنت أيضاً مزدوج الشخصية.. كيف تكون ثورياً وحولك كل هذه البنات فى الجامعة؟
- كل المثقفين كذلك.. حتى العقاد هذا الهرم الثقافى الذي كان من أعمدة الليبرالية والعقلانية وتحرير الفكر والأدب العربى والذي انضم لثورة سعد زغلول وانغمس فيها قلبا وقالبا، وما لبث أن أصبح كاتب الوفد الأول والجبار والمقرب من سعد باشا زغلول، وأصبح مؤرخ حياة سعد باشا زغلول، وكان أول من خرج على العرف وندد بالملك فؤاد فى البرلمان وبمخصصات الملكية وأول من حوكم بتهمة

العيب فى الذات الملكية وحكم عليه بالسجن تسعة أشهر ونفذ الحكم وقد انقلب على الوفد وعلى زعيمه مصطفى النحاس لكى ينضم إلى الركب الملكى وليسخر قلمه الجبار للدفاع عن بيعة الملك فاروق ليكون خليفة المسلمين ويوافق على أن يكون الملك فاروق له حق إلهى مثل كل الملوك.. وكان الحق الإلهى قد اختفى منذ عهد الثورة الفرنسية.. والعقاد هو الذى ترجم كتب وأدبيات الثورة الفرنسية للمصريين وكان يبشر بمبادئها.. ازدواجية فكرية.. عارفة الملك فاروق كان عمره كام؟؟.. ٢١ سنة عام ١٩٣٧ يعنى شخصية العقاد الأولى تنادى بتحرر العقل وتترجم كتب الثورة الفرنسية وشخصيته الثانية تؤيد الملك فاروق وتؤيد حقه فى الخلافة.. ازدواجية.. كتب عبقرية محمد وأبو بكر وعمر الفاروق وفى الوقت نفسه قالوا إنه كان له يوم فى الأسبوع يرافق غانية ليسد حاجاته البيولوجية.. ازدواجية الدين والدنيا.. حتى شيخ الجامع الأزهر أفتى للملك فاروق وقال له (إن الله يرسل كل مائة عام على رأس الأمة مصلحًا يجدد حياتها ودينها ويوحد صفوفها وأن فاروق هو من اختاره الله وبعثه بهذه الرسالة للمائة عام القادمة).. شيخ الأزهر هو أيضاً يعاني من الازدواجية.. حتى القدس له تاريخان: تاريخ إسلامى، وتاريخ يهودى.. انبثق منه تاريخ مسيحى ازدواجية في التاريخ.. الازدواجية فى كل شئ.. قال ميخائيل نعيمة: "إن مصر مصران: مصر أدباء الحكومة الذين يطبلون لهم فى كل مكان، ومصر أدباء الشعب والشعب لا يعرف لهم عنوان".. ازدواجية.. الشيوعيون يقولون إن مصر مصران: مصر الفقراء، ومصر الأغنياء.. ازدواجية، وجغرافيا مصر: مصر الجديدة، ومصر القديمة.. ازدواجية، وكل واحد منا اثنان.. لكل مجتمع جسد غيبى فى مقابل الجسد المنظور.. جسد سياسى باق فى مقابل الجسد الفانى.. الأنا والآخر ازدواجية الحرية والطغيان.. الخير والشر.. الرجل والمرأة.. النور والظلام.. ازدواجية يا ناهد أنا وأنت روح واحدة فى جسدين.. يا ناهد.. السياسة والمبادىء والحب ازدواجية

والتاريخ اثنان.. تاريخ معلن مزور وتاريخ حقيقى خفي.. ازدواجية.. يكتبون على أعمدة المعابد الفرعونية تاريخًا ثم يأتى فرعون جديد يمسح من على تلك الأعمدة تاريخ من سبقه وربما ينسب ما على المعبد والأعمدة من تاريخ لنفسه.. أنا أكاد أعرف الحقيقة..

أمسكت يد ناهد وقبلتها.

على مهل ضمينى حبيبتى.. على مهل حتى أذوب.. فالدفء فى صدرك ابتهاج وهياج وأُنشودة وماء.. على مهل ضمينى حتى لا ينكسر كأس العشق؛ فالعشق بطئ ورقيق ويسيح ويسبح وله صولجان ومراع وسماء زرقاء.. على مهل حتى نستمتع؛ فالليل طويل والعمر قصير والعشق كبير.. دفعتنى برفق من فوق صدرها قائلة:

- اقعد عدل الطلبة يخشوا يشوفوا رئيس الاتحاد فى حضن عضوة اتحاد

ضحكت، قلت لها:

- يا ناهد كلما رأيت اسمك أتنهد.. تصير أنفاسى كلمات أتبعثر على الحروف عشقا وأغنيات.

تنهدت ناهد:

- وبعدين معاك يا راجل أنت.. بتسحرنى بكلماتك.. لماذا أنا بالذات؟
- قلت لك طابع خاص وعطر خاص وصوت خاص أما سحر عينيك يسحر الورد والبشر حتى الحجر.. ماذا أفعل؟؟
- اسمع يا فتحى رضوان موضوع فيفيان انساه.. انساها لكن أنا مش حنساه أبداً
- وأحيانا أنسى.. أنسى لون الورود لأن نظرة عينيك عنى غائبة

مددت يدى، وأمسكت يدها سحبتها بعيدا

تعالى إلى وخلصينى من البؤس والهم.. تعالى قلبى به مليون مليون وردة باسمك.. تعالى اليوم وكأن كل لحظة عام فى بعادك عنى.. مللت التمنى والتغنى.. تعالى أنتِ

بوابتى للحياة والنور للحروف.. تعالى فى دمى يجرى الفقراء والشعراء والعشاق التعساء.. تعالى ليس فى الغياب إلا عطش وجفاء..

فى الليل يا ناهد أرى فى الحلم الرئيس عبد الناصر يبكى على أحلامه التى أضاعها العسكر على صدر النساء وفى ملاعب كرة القدم وتشجيع الأهلى والزمالك أراه يبكى.. حاولت أن أغنى له ولا يهمك يا ريس من الأمريكان يا ريس.. فنزلت دموعى على خدك حبيبتى ناهد رغم المسافات.

فى صباح ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ كتبت الصحف خبر انتحار المشير عبد الحكيم عامر، بعد حوالي ثلاثة شهور من انتهاء حرب الأيام الستة.. مات ومعه السر.. سبب الهزيمة.. وصور موشيه ديان صور فى الصحف العالمية القائد المنتصر على ثلاثة جيوش عربية فى ٦ ساعات.. قتل عبد الناصر أخاه عبد الحكيم عامر.. سمى ابنه عبد الحكيم وسمى عبد الحكيم ابنه جمال.. قتل ست أخاه أوزوريس مزقه أربعين جزءًا، ودفن فى كل قرية جزءًا.. قتل بطليموس السابع ابنه غير الشرعي، ومن المحتمل أن يكون هو الذى أوكل إليه حكومة (سرنيقا) ولم يكن لأهل الإسكندرية غير هذا المخرج فى ذلك الوقت..

طلب عبد الناصر حكيم للعشاء معه، ثم أرسل عبد المنعم رياض ومحمد فوزى ليقتلاه بعيدا عن مرأى عبد الناصر (كما قال جمال ابن عبد الحكيم عامر فى حديث له مع التلفزيون المصرى)..

طلب بطليموس البطين من ابن ملك سرنيقا (الذى اتفق مع أمه على التخلص من حكم أبيه الظالم) الحضور له للعشاء فى قبرص وإثر وصوله قتله على مرأى منه ثم قطعه إربا ثم وضع أشلاءه فى صندوق وأرسله إلى أمه كليوباترا الثانية فى يوم عيد ميلادها.. حتى الأم السياسية كليوباترا حاولت قتل ابنها (انتيوكوس أى الأعقف الأنف).. بدس السم له فى كأس قدمته له، غير أنه كان قد علم بذلك من قبل ورفض

تجرع الكأس وأجبرها على أن تشربها وبذلك قضت نحبها بيديها فكان جزاءًا وفاقاً..
السلطة أقوى من رابطة الدم والابن والأب والزوجة والأهل والولد والبشر
كما فى قصة اترى ابن بولبس وملك (ميسينى) الذى كان يكره أخاه (تيست) فى صراع على السلطة فانتقم منه أشنع انتقام يمكن تصوره، وذلك بأن ذبح (تانتال) و(بليستين) ابني (تيست) وقدمهما لأخيه وزوجته فى وليمة عشاء ليأكلا منهما..
قدم عبد الناصر جثة عبد الحكيم للشعب كى يدفن غضبهم من النكسة فى قبر المشير عبد الحكيم عامر..
قتل ابن عباد القاضى – أحد حكام الأندلس وأمراءها – كل قضاة إمارات الأندلس فى الحمام بعد أن بنى حماماً عجيباً ودعاهم للغذاء ثم للاستحمام فى الحمام الجديد الفاخر وشرب القهوة السادة هناك، وأغلق عليهم الأبواب بالحجارة وسدها أثناء الاستحمام.. كل أبواب الحمام بالطوب والخشب، وجعلها مقبرة جماعية، وكتب على المقبرة: "هنا يرقد قضاة الأندلس الذين سببوا الفرقة بين أهلها".
قام محمد على فى مصر بنفس الشئ عندما دعا المماليك فى القلعة وأطلق النار عليهم جميعا.. نفى عبد الناصر الرئيس محمد نجيب فى فيللا فى ضواحى القاهرة (المرج).. واستمر السادات أيضاً فى نفيه.. قام صدام حسين أيضًا بالتخلص من رفاق حزب البعث فى مذبحة جماعية بحجة الخروج والتآمر على نظام الحزب..
الطغيان لا يعرف جنسية أو هوية الطغيان لا يعرف عنوانًا.. أنا أكره الظلم والطغيان سيدتى
ناهد حجازى تمسك يدى تدفع بى للجنون من حنان مفرط برائحة الليمون.. لنهديك يقف الفجر شاردا حائرا.. وشفتاى ترتعشان وجسدى خائر.. ولفخذيك أتصبب عرقا مع أشعة الشمس التى تسكننى.. حاولت أن أقبلها دفعتنى بعيدًا عنها..
– أنت رئيس اتحاد طلبة عيب عيب يا فتحي
كتبت شيئا فى كراسة ناهد

سمراء أنت

بيضاء أنت فى لون شهقة العمر

مرحة القلب والعينين

أختلس من عينيك نظرة السؤال

تباشير الحرية الأبدية

....

....

وأحيانًا أتمرد وأسجن كل الشعراء فى استهلال قصيدة، وأفرج عنهم حين تضميننى لأحضانك فى منتصف القصيدة، وأحيانًا أسجن كل النساء فى نهاية قصيدة ولا أفرج عنهم مدى الحياة لتكونى أنتِ مسك النساء وأنت الصدق والتفانى وعشق لايعرف الانتهاء.. ناهد يدها بضة كفها ناعم.. جسدها يشع دفء أنثى بلا حدود..

****

قال نزار قبانى بعد النكسة ١٩٦٧:
أرغمنى جندك أن آكل من حذائى
يا سيدى..
يا سيدى السلطان
لقد خسرت الحرب مرتين
لأن نصف شعبنا.. ليس له لسان
ما قيمة الشعب الذى ليس له لسان
لأن نصف شعبنا..
محاصر كالنمل والجرذان..
فى داخل الجدران..
لو أحد يمنحنى الأمان
من عسكر السلطان..
قلت له: لقد خسرت الحرب مرتين..
لأنك انفصلت عن قضية الإنسان..

"سهر"

جاءت العصافير والطيور فوق سطح بيتها.. أما عندما تسير فى الطريق تكون العصافير سربًا يطير فوقها. ويلاحظ ذلك بعض أهل القرية ولكنهم لا يهتمون بالأمر ربما تكون صدفة أو لأنهم فى استغراقهم للسعى وراء الخبز والحياة..

آه آه.. ما أصعب لغة الإنسان.. والطيور..

عرفت الطيور قصة عشق عصفور الكنارى الشقى.. أسموه عصفور "سهر"..

أخوها الأكبر سامي لم يكمل تعليمه، يشعر بأن الفقر يحاصر أباه من كل صوب.. الأب كان سياسيًا يحارب العدو الفرنسى المحتل، وبعد أن خرج الأعداء من المدينة أصبح الأب يحمل نيشانا ووساما، علقهما على الحائط بجوار صورة الجد الأشيب..

الأب يحمل من الحرب إصابة في قدمه اليمنى، ويقول إنها سوف تكون تأشيرة دخوله للجنة يوم الحساب، وسوف يدخله الله الجنة مع الشهداء والصديقين والعاشقين لأنه يؤمن بأن العشق ابتلاء، وأنه أحب سلمى أم "سهر" ودفع الثمن غاليًا.. هرب بها ذات يوم في جوف ليل كافر بالبشر.. اغتصب فيه الأعداء الفرنسيون نساء القرية.. وهرب هو بسلمى..

آه سلمى جميلة وفاتنة.. وسكن هنا في الجبل قريبا من المدينة المزدحمة، المدينة عاهرة بلا أخلاق.. المدينة كافرة.. والقرية ليست لها شهادة ميلاد فى بلاد الدنيا.. القرية دائما منسية من خريطة السياسيين والمسئولين فى العاصمة..

العاصمة أم عاهرة للقرى فى كل بلاد الدنيا.. تمارس كل شيء وتفعل أى شئ، وتعيش فى رغد.. تاركة سكانها للضياع، كأنهم أناس فرغوا من يوم الحساب.. هكذا عواصم المدن.. المدينة تدوس أهل الريف بالأحذية..

المدينة تغازل خيال الفقراء فيذهب تجارها إلى القرى يشترون العنب والتفاح والزيتون.. والحقول مفتوحة الساقين يمارس الجشع الفحشاء فيها بلاخجل.. يستباح

الفلاح ويأخذ التجار أعداء الله المحاصيل بأقل الأسعار فى عربات ضخمة للمدن لتباع بمائتى ضعف السعر..

آه كل التجار خونة يشربون دم الفقراء ويأكلون لحمهم نيئاً.. التاجر لا ينال رضى الله – أو قد يناله بصعوبة–.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما جمع امرؤ ثروة قط من مال حلال"، وقال أيضا: "خير الأماكن المساجد وشر الأماكن الأسواق" صدق رسول الله.. والسوق يحكمه التجار الفجار.. القادة تجار، والتجار أمراء التجار يشترون الوظائف لأبنائهم.

فى نهاية الحصاد يحصل رجال القرية على أوراق مالية قليلة.. قليلة.. وتحصل نساؤهم على نظرات محرمة غير محترمة من التجار الأثرياء خاصة الفاتنات الفقيرات منهن.. وكل تاجر ألقى رمشاً على فاتنة يظن أن السيارات التي تحمل محاصيل التفاح إلى المدينة قد تجذبها إليه، أو ربما تجذبها المحفظة المنتفخة التى يحاول أن يفتحها أمامها لترى كم هى مكدسة بأوراق مالية من لحم الفقراء..

كاظم مدرس اللغة العربية الذى يهوى "سهر" كان يقف أمامها أحيانًا وينظر نظرة ربما تمتد عمراً أو زمنا أو ما لا نهاية.. كل الأزمنة باطلة لأن زمن العشق الدقيقة فيه بألف عام مما تعدون.. ويبحر فى عينيها إلى حدود اللامرئى، ويمر على حروف اسمها كل حرف حكاية وشجن..

هل أنت أنثى أم أنت حزن ممزوج بالفرح

آه يا "سهر"

عندما

أراك

سأضمك

حتى أعصرك

فى صدرى

... وأمتص

رحيق

شفتيك

حتى الألم

وسأدغدغ

نـهديك

وأداعب حلمتيك

حتى تتبخر

عندما تقرئين كلماتى يتفصد جسدك عطراً

سوف أذيبك فى فمى وأنثرك عطرا على جسدى

الفصل الخامس

أسألكم أن تغنوا للحرية بدلا من الصمت

فتحى رضوان خليل (حبيب "سهر" في المستقبل)
قرر الخروج من البيت وفكر فى الهجرة من الوطن..
أنا المسئول عن النكسة.. أنا الذي كنت خطيبًا في الجامعة، وأنا رئيس اتحاد الطلبة.. مصر عبد الناصر قوة عظمى وجيشها أعظم الجيوش... مصر التى فى خاطرى ليست هذه المهزومة المأزومة الآن.. مصر المنحوسة بالهزائم.. مصر المحروسة بأهل البيت.. مصر المحظوظة لكل من حكمها وسرق مالها.. يومئذ تحدث أخبارها.. وأنا عشقت مصر تلك السافلة العمياء الجاهلة القذرة الوسخة الرائعة الجميلة القلب معشوقتى فى الصباح والمساء.. هل خدعت الشباب بحبها وأنها أم الدنيا وأنا لست أولهم؟ هل علمت الشباب عشقها الذي كان خطأ؟ أنا قلت لهم إن لبن ثديها نقي وتقي؟ ثم وجدت اللبن دمًا ورائحة قذرة ممزوجة بطعم القهوة المرة، وجدت جيشًا من عبيد ورعاع أو شعبًا من العبيد يحب الانحناء والتملق.. وعرفت بعد النكسة كم نحن سيئون كشعب.. سيئون نحن كقادة.. سيئون نحن كسياسيين.. سيئون نحن كمدرسين.. سيئون نحن كبشر..
فى شقة سكنت مع الشباب الذين صدموا بالنكسة.. شباب جامعى.. أمى حاولت ردى للبيت لكن الصدمة كانت أكبر لم أطق البيت.. ذهبت إلى مقر اتحاد الطلاب وجدت ناهد حجازى تنتظرنى.. ناهد بنت ١٧ سنة أجمل بنات الإسكندرية، وابنة ضابط جيش.. قالت: ما بك يا فتحى؟
قلت:

- تعبان.. أحتاج إلى أن أخرج من خطيئتى عاريًا..
- إليك
- يقبلنى جبينك الطاهر
- نتوحد
- نتوضأ بالحب...

قالت:

- ما وجعك؟.

قلت:

- الوطن.

وددت أن أضمها، أن أبكى على صدرها؛ فوقعت على الأرض مجهشا ببكاء مرير.. لو كنت يا مصر آخر أنثى فى العالم لن أنحنى وأركع على ركبتي لك.. لو كنت مطرا سألهو تحت رذاذك وأخلع ملابسى لأبتل بعطرك.. لو كنت ياقوتة سأقتنيك وأشعل أصابعى شموعًا وقناديل كى أحميك.. لو كنتِ كلامًا سأرسم بك صفحات عشقى وعلى جبين الناس سأرسمك أحرفا من نور وأفتديك.. لو.. لو..

بعد أن عدت للوعى لم أجد إلا سيلا من الفواتير الخاصة بالاتحاد لتوقيعها.. وقعت كالأعمى كنت أشعر أن معظم الفواتير مزورة إما من الطلبة أو المشرفين على الاتحاد لكنى لابد أن أوقعها.. ماذا جرى لقلبى وقلبك وعواصف الأشواق خائفة منا تدمرنا.. ماذا جرى للوطن الذى خلع سرواله فاكتشفنا أنه ليس ذكرًا ولا أنثى، بل وهمًا وشبح مقبرة.. ماذا جرى حبيبتى لى؟.. صرت على الأرصفة ملكًا للتأمل والمعرفة فى أمة تبحث عن الأرغفة مفلسًا من المال.. وفى حرب الاستنزاف وبعيدًا عن العيال وقريبًا من الأضرحة، ماذا جرى؟.. غابت الدنيا ومدينة النور فى عينيك يا ناهد سكنت، وأحلامى على نهديك بين الحلم واليقظة حائرة..

ماذا جرى حبيبتى وأنا وأنت فى المستقبل منارة رائعة..

آه يا ناهد مثل البحر أنت تشدنى أمواجك

أحب البحث عن المجانين فى الكتابة لأشبع عطشى للمستحيل

***

كانت فيفيان تنتظرنى فى مدخل الجامعة وعندما رأتني قالت:

- أنت فتحي بتاع الصحافة والشعر اللى فى المجلة

فيفيان مسيحية مصرية الأب، أمها لبنانية شقراء مثل الصباح الذى ليس له اسم وأشعة الشمس على شعرها تميل وتتألق فلا تعود للسماء، ولا تنزل على الأرض بل تستقر على كتفيها فيفيان ضوء الزرع والنماء أنثى لا تتكرر إلا بصعوبة فى الحياة.. تقابلنا فى محطة ترام رشدى فى الإسكندرية فى شارع سوريا الذي تقع فى نهايته كافتيريا يمكن أن نمارس فيها الحب الخفيف، والتي يمكن فيها أن أقبلها بقلب محطم.. أهفو إليك بقلب مشتاق أشعر بالاحتراق لبعدى عنك بقلب يحمل كبرياء النبلاء والفرسان أرفض الانحناء إليك وأحاول أن أخترق قلبك أى اختراق بقلب لا يحمل انكسارا أغفو على سيرتك وخيالك مع أنى فقدت ظلى أثناء البحث عنك بقلب المدن والفصول والماء والجذور، أحن إليك بقلب عصفور يطير فوق الحقول أبحث عن وردة لأهديها إليك.

قبلتها من خديها من شفتيها تورمت الشفتان.. شفتا فيفيان رقيقتان كأنهما خلقتا من أجنحة الفراشات أو ورق الورد أو همس البحر..

خرجنا من الكازينو.. ظهر أمامنا فجأة أخو خطيبها، لاعب مصارعة وحديد صرخت هى:

- رحت في داهية..

كان بغلا طويلا عريضا رأسه رأس حيوان من القرن الحجرى.. فوجئت أنى على رصيف محطة ترام رشدي، والناس حولي، خدي متورم قميصي مليء بالدم فضيحة بجلاجل لرئيس اتحاد الطلبة الثوري النوري الكلمنجي الذي يدعونا للتغيير.. في اليوم التالى اتصل بي الأخصائي الاجتماعى، وقال:

- "عاوزينك في رعاية الشباب في الوزارة"..

- ذهبت..

قالوا:

- "اتصلت بنا جهات أمنية تتهمك بمحاولة إقناع فتاة مسيحية للدخول في الإسلام بسبب علاقة عاطفية بينكما".. قلت: "لم يحدث.. ممكن أروح الكنيسة أكلمهم.. أنا أحب فيفيان!! ولماذا اختارتني أنا تلك الساحرة من وسط كل الشباب؟ كما أنه ليس لدي عشيقة والقلب فى خواء.."

الوطن الحقير نسي أسماء الشرفاء بحجة الزهايمر.. أما أنا تذكرتك اليوم فجأة حينما كنت ترقصين عارية وترتجفين تحت الغطاء، وعندما كنت تبكين تحت قدمي عندما تشعرين بالذنب بعد وقوعك في الخطيئة.. وعلى الجانب الآخر نسيت الورد الذى زرعته فى قلوب البنات حينما كنت خطيبا في الجامعة، ونسيت البندقية التي تركتها في عقول الشباب في معسكرات أبي قير وحلوان ووادي النطرون، وتركت كل النساء دون وداع من أجلك أنت..

لم أودع فيفيان وسافرت إلى لبنان وسحبت ورقها من الجامعة.. فيفيان الجميلة.. الرقي والحلم والحزن في لون عينيها الأخضر فضاء.. عيون فيفيان شعرها وحنانها.. ليست لأشواقها ضفة بل رحبة الضوء والإحساس.. عيونها بهما حكمة عيسى وكنائس الرهبان.. عيونها لا تعرف الكذب وتحتقر السفهاء من الشباب.. عيونها تطلق الشتائم على الأغبياء من يبعثون لها بكلمات.. أتنهد في أنفاسها.. جاءت إلى الجامعة لتلقي لي ببعض كلمات الوداع.. قالت لأمها وأبيها:

- أود أن أذهب للحمام
- لا تغيبى
- حاضر

جاءتنى فى الكافتيريا، اتجهت حيث كنت أجلس مع بعض الزملاء والزميلات.. وجدتها عند دخولها تقبلني بعينيها تعانقني برموشها.. عيون كالحلم جاذبة جذابة..

- فتحى

تركت الجميع إليها

- فتحى
- روح فتحي.. قلب فتحي.. عيون فتحي.. نعم
- أنا رايحة بيروت عند خالتي..

تلك اللحظة كانت عيونها تحرقني بالشوق تجذبنى هل أضمها في الكافتيريا؟.. ارتدت نظارة سوداء لتحجب الدموع.. آه يا عيناك.. عيناك تلوماني لأننى سأكون بعيدًا عنك.. مشت.. خطوة.. خطوتين.. ثلاثاً.. عادت إلى فتحي دامعة الخد والقلب

- فتحى عدني ألا تنساني.. وإن مررت ذات يوم على بيروت سيأتي بك قلبك إلي وسيأتي قلبي بي إليك..

مشت واختفت تدريجيا، كأنها ملاك ضوؤه يختفي في ظلام الأيام. أفقت على صوت ناهد حجازي:

- شايفاك قلبك بيتقطع وانت بتودعها

(انشقت الأرض وظهرت ناهد)

- تعالي اشربي معايا قهوة سادة يا ناهد..

مشت معي إلى إحدى الطاولات وجلسنا لنشرب قهوة سادة.. أحلم بالقاهرة والنيل والمساء وكوبرى قصر النيل وشارع جامعة الدول العربية ونادى نقابة الممثلين.. وهواء القاهرة الغريب.. القاهرة غير الإسكندرية لها عشق خاص ومسك الهواء فيها غير.. ...القاهرة سحر وساحرة.. أحن اليها الآن كما أحن إلى الهروب إلى الخليج.

الفصل السادس
وأى عشق عشقك ياسهر

"لو كانت الحرية ثلجاً لنمت في العراء"

" عمرها ما كانت مشكلتنا مع الله، مشكلتنا مع اللى يعتبرون نفسهم بعد الله"

من مسرحية "شقائق الشداد"... محمد الماغوط

شداد.. هو أكبر التجار ثروة عمره ٤٥ عامًا طويل، عريض، فحل، غبي فى فهم الحياة، ذكي فى جمع المال من كل فقراء القرى.. شداد يأتى للقرية كل عام لكن هذا العام وبالصدفة وحدها شاهد "سهر" تمر من أمامه بضفيرتين الأولى ضفيرة للشمس والأخرى لليل، ولفحه عطرها فصاح وسط الجموع:

- **من هذه؟ ابنة من؟**

قالت ميثاء الفلاحة العجوز الماكرة

- **إنها ابنة سلمى**
- **ما اسمها؟**
- **"سهر".. حبيبة القمر؟**

دهش التاجر شداد قال:

- **أتمزحين معي؟.. حبيبة القمر، وصديقة القمر، حتى لو ابنة الله أريدها.. متزوجة.. أو مطلقة أو... أريدها بأى ثمن؟**
- **يا شداد دعك منها.. إنها طفلة بنت١٧ سنة..**
- **أى ١٧ سنة أيتها العجوز المجنونة. انظرى لها جيدًا، لقوامها لنهديها لخصرها. إنها مكتملة الأنوثة. إنها تساوى إناث كل القرى التى حولنا. من أبوها؟ اسمه، عنوانه، أين يسكن أبوها؟ ماذا يعمل؟**
- **لا يعمل.. لديه قطعة أرض صغيرة يؤجرها للفلاحين..**
- **كيف يعنى؟!**
- **أبوها محارب قديم وعنده قطعة أرض ورثها عن أبيه يؤجرها**
- **كيف يكفيه أن يأكل ويعيش.. من إيجار قطعة أرض صغيرة؟.. أريد أن أقابله فى الحال.. أين المختار؟**

شداد يشترى التفاح وهو على الأشجار قبل الحصاد، والنساء اللائى يشبه نهدهن التفاح، ويشرب ملعقة كل يوم من خل التفاح، ووجه أحمر كالتفاح..

دخلت "سهر" حجرتها.. خلعت ملابسها قطعة قطعة.. انتشر العطر فى أرجاء الحجرة.. مدت يدها في الدولاب لتحضر ثوبًا نظيفًا للنوم سمعت صوت أبيها فى خارج الحجرة يصيح: "أين سهر"؟.. فوجئت أن العصفور يقف على السرير يراقب جسدها.. انخلع قلب العصفور عندما شاهد جسدها المرمرى المنحوت بيد القدر.. خبأ العصفور عينيه بجناحيه خجلا!!.. ذهبت إليه عارية، وفى يدها قميص النوم، وقالت له وهى تبتسم بتعجب: "أنت مرة ثانية؟"

حملته في كفها.. ذاب العصفور خجلًا، وانكمشت رأسه بين جناحيه، ثم أجابت أباها بصوت عال:

- نعم يا أبى أنا هنا أنا قادمة..

أخذت العصفور وارتدت ملابسها وخرجت..

ما سر هذا العصفور الذى يطير ويلازمها من مكان إلى مكان؟.. ما سر ملاحقته لها؟.. ما سر هذا الكائن الخرافى التكوين؟.. كانت تخافه أحياناً وتقلق عليه حين يتأخر فى الحضور والظهور.. ما سر الملازمة وقلقها عليه؟.. النهار لا يعرف سر الليل، والليل لا يعرف سر النهار.. أمور غريبة..

شداد تاجر فاجر يشترى ويبيع كل شئ ألم نعلم أن التجار أعداء الله يسرقون أموال الفقراء والعامة.. .وخاصة نساء الفقراء..

"سهر"

الليل سكون.. الليل مجون واسترخاء.. ياقلبى بدأت وحيداً، وانتهيت وحيداً

كتبت كإنسان جريح

الليل شقاء للمحرومين من العشق، وأي عشق عشقك أنت يا "سهر"..

النجوم تهمس للقمر حبيبتك "سهر"..

والعصافير ترى أن العصفور تحول قلبه إلى عاشق للبشر

وخاصة قلب "سهر"..

وقلوب الشباب فى قرية سهر معلق على نوافذهم قناديل صغيرة، والعجائز من الرجال يتحسرون على شبابهم الضائع، ويسألون نساءهم دوما عندما يتذكرون عطر "سهر"؛ فيقول الواحد منهم لزوجته:

- أوووف.. غيري عطرك يا امرأة..

ضمت "سهر" العصفور الشقي إلى حضنها، ونامت، ونام الخبيث للمرة الثانية في فراشها.. سينام بين النهدين.. ويشم العطر ويسكر.. ويحلم..

لم تدر "سهر" أن فى عينيها حلم وحكمة لم تولد في النظرات بعد، ولم تدر أن عطرها قد سحر شداد وهو الليلة لن ينام.. شداد عيونه كالبصقة عيون كاذبة باردة فارغة.. القرية أكثر احتراما من المدينة في العلانية، وأكثر فحشا في السر، وأكثر فقرًا من المدينة في العلانية، وأكثر ثراء فى السر.. أكثر طيبة من المدينة في العلانية.. وأكثر شرًّا فى السر..

....

....

في تلك الليلة وفي الديوانية، وعلى مصباح كهربائي ضعيف، جلس أبو "سهر" مع أمها وابنتهما الكبرى "سوسن" التي لم تكمل تعليمها لضيق ذات اليد، وهو يشرب "المتى".. "سوسن" قررت أن تتعلم القراءة والكتابة فقط.. عيون "سوسن" شقراء وأحيانا سوداء وأحيانا رمادية.. بطن سلمى يهبها الله إناثاً جميلات غير إناث الجبل.. جلست سوسن مع أبيها وأمها يشربون "المتى" ويضحكون.. تحكي "سلمى" لزوجها عن نساء القرية.. وهو يحكي لها عن رجال القرية.. وسوسن تحكي لهما عن بنات القرية.. أما "سهر" في حجرتها مع أحلامها..

كانت "سهر" أوفر حظا من أختها سوسن؛ إذ قرر مدير المدرسة تعليمها مجانا دون الرسوم الرمزية.. كان المدير يسكر من عطرها.. كان يراها نورا في كل يوم في الطابور الصباحي.. وكان المدرسون يحضرون لها الكتب مجانا على نفقتهم ويتبارون

فى إحضار الأدوات المدرسية لها: كراسات، محايات، مساطر، أقلام رصاص، كتب.. ويعرضون عليها مساعدتهم.. كانوا يتبارون في الأناقة من أجلها.. ويتنافسون على تدريس فصلها.. الرجال الذين لايشمون رائحة جواربهم النتنة فى أرجلهم.. كيف يشمون عطر النساء؟ وتسألنى عن خيانة النساء للرجال؟

كاظم مدرس اللغة العربية هو الوحيد الأعزب وفكر في أن يتقدم لخطبتها.. لكن ماذا سيقول أهل القرية عنه.. قد يتهمونه بالجنون لأنه أقدم على خطبة تلميذته.. هل ينتظر عاما آخر أو عامين؟ هل من الممكن أن تتزوج من غيره؟ هل هى تحبه؟.. مليون سؤال يحاصر كاظم؟

آه يا "سهر".. حتى أتمكن من شفتيك عليَّ أن أعبر بحورا.. حتى أتمكن من أن أرسم على نهديك سأصعد جبالا وأعبر جسورا.. حتى أتمكن من قلبك أحتاج سيف روميو ورمح دونجوان.. أحتاج ليلة القدر وصوم الليالى العشر حتى أتمكن من جسدك ألف ليلة وليلة، وأحتاج مأذونا وشهودا، ومهرك ألف أغنية وألف كتاب عشق حتى أتمكن وأنا الممكن وغيرك لا يوجد بالإمكان حتى أتمكن منك لن أكون.. وبك أكون أو لا أكون..

آه يا "سهر".. فليس من أحد مثلي ومثلك.. أنا وأنت حرب عشق في السر والعلن؛ فليس من أحد ساحر يخطف قلبك في جيبه حين يذهب قلبي للسباحة مع القمر.. وليس من أحد مثلي يعرف غناء النخيل والقمر.. وليس من أحد مثلي ينثر على جسدك الحنين أنين الشوق.. وليس من أحد غيري يجمع كفيك شفتيك نهديك خاتما في إصبعه..

آه يا "سهر".. ألقيت عليك حرفين من حروفي.. صرتِ حبي.. ألقيت عليك ثلاثة أحرف صرتِ عشقي.. ألقيت عليك أربعة أحرف صرتِ هيامي.. ألقيت عليكِ خمسة حروف صرتِ جنونى.. ألقيت عليك ستة أحرف صرتِ وجودي

آه يا "سهر".. فتحت لك القلب والنافذة والباب لكنك لم تأت ولم تسكنيه.. ذهبت إليك لم أجدني، وانتظرت منك الجواب يا "سهر" ولكن ظل انتظاري بلا جواب.. بلا جواب.. ياصدفة تهزنى بلا منطق بلا تمهيد أنا روح تعبر التاريخ أنا سر التنهيد.. أنا مهزوم من كل الاتجاهات لأنهم يعلمون أن بوصلة اليقين عندى وروح البصيرة ياصغيرتى ياصغيرة.. لك الصباحات و المساءات والهناء لك البهاء والصفاء.. فبينى وبينك وجع الفضلة والخوف من اليقين.. ماعاد لى ولك فرصة، فقد قتل الحراس أحلامنا وسرق الحزن أفراحنا.. ألم أخبرك أن سرى فى سورة الرحمن ونون والقلم ومايسطرون وعينيك والسر المكنون.

***

كاظم ينظر لها كلما مرت أمامه ويرتبك، وعنما يدخل الفصل ينظر لها ويتعذب، وحين يراها تحدث البنات وتضحك يشعر أنه وحيد بعيد..

وحيد أنا بلا سند ليس لي صديق إلا المطر والطرقات وأزهار الحدائق والمقاهي التي يهرب الرجال إليها من أسر النساء.. آه لو كنت يا "سهر" أنثاي.. آه لو كنت معي؛ لحولتك قنديلا وبحرا وياقوتة وملاكا، ولبقيت أمارس معك الحب ليل نهار.. أنت حدائق الحب المعلقة وبها ورود من كل لون وطعم ورائحة.. يا فاتنة سأسبح في قبلة من شفتيك.. أمتص عسل الشهد ألف ليلة بالهمس واللمس.. سأدخل تحت جلدك.. روحك.. قلبك.. ألف ألف ألف ليلة.. وآه من شفتيك التي تذيب القلب وتبعث في الروح نشوة.. أيا فاتنة يا بعيدة عني وأنت في القلب ساكنة.. تعالي اجمعي أحلامى وابعثى نورا في روحي الساكنة..

بعد الحصة الأولى وقفت البنات حول الأستاذ كاظم ماعدا "سهر" نادى عليها:

- "سهر"
- نعم أستاذ

- يا "سهر" لو واجهتك أى صعوبة في أى شيء لا تترددي في سؤالي.. أنا مستعد أن أساعد أى واحدة منكن..

أقول الحقيقة لن أنحنى أمامك.. سأقبلك وأرفعك بيدي فوق جبيني وأضمك حين تودين احتضاني.. بين السماء والأرض بك أطير.. بوطن يأكل زهور البنفسج حين تجف ويشرب من ثدي الياسمين.. لن أقبل يديك إلا في سريري وأفرش البحر تحت قدميك حين تسبحين وأصلب الماء والهواء إن داعب جسدك بشبق الذكور.. وأشق في صدرك نهر حبي بثورة العشاق وجبران وابن الرومى..

أشتاق لشرب القهوة معك وارتشاف قبلة مع كل رشفة.. أشتاق أن أهمس خلف أذنيك بحكايا الحياة والتاريخ والحضارة.. أشتاق أن أجعلك سمائي وصبحي ومسائي.. أشتاق لثياب السهرة المفتوحة ورموشك المجروحة.. أشتاق إلى شرب العرق والقلق والسيجار وكتابة الأشعار على نهديك.. أشتاق والشوق قاتل خانق.. أحتاجك الليلة وغدا كموج بحر وزلزلة الحب بهدلة وبلبلة.. أشتاق بلا تردد وبلا سؤال أن ننهي تلك المهزلة..

ضحكت البنات شعر بالخجل.. قال بهدوء ناعم:

- دلع البنات مابحبه كل واحده تروح صفها

مشت البنات إلا "سهر".. ظلت تراقبه هائمة وهو يبتعد بخطواته البطيئة

"كاظم" هو معلم اللغة العربية.. يعيش حالة وجد تجاه سهر.. كل مساء يشرد فى حالة لا يعرفها ولم يمر بها بشر.. آه يا سهر.. سأسكب عليك بعضا من عطري ووهجي وقبسة نور من حوريات الجنة اقتبستها من السماء وأدعك تسبحين في بحور حناني ومن شفتي سترتوين ومن سيول حنينى، وأعطيك قطعة خبز من السيد المسيح، ورشفة ماء من كف محمد صلى الله عليه وسلم، وقطعة لحم أهداها لي موسى وعطرا تعطر به الحاكم بأمر الله، وأمحو من ذاكرتك ركام زمن الحب المغشوش، وأريك كيف ترتفع السيوف لعشقك في المساء دون خوف أو خجل..

سهر.. تعلم أنه يشرح الدرس وطوال الحصة عيناه في عينيها والبنات يثرن ضجيجا وصخبا وحقدا وحسدا ولهوا وعبثا وخاصة "وردة" ابنة المختار "بسام"..

"كاظم" في داخله حنين ورسالة إلى "سهر" تحملها إلى عينيها بمشاعر الأستاذ العاشق.. اتركي الآخرين وتعالي إلى أحضاني وافرشي لي زهور بستاني.. اتركي الآخرين يرقصون على جثة الوطن ولملمي أجزائي المبعثرة.. متورط أنا في عشقك متورط حتى النخاع.. اتركي الآخرين وامرحي على كفي.. على صدري.. على أوراقي وأحرفي وفراشي.. واتركي الآخرين يكفرون، أما أنت فصلي للوطن ولي كل صباح.

لا تخشي شيئا لا تخشي فالورد فى المساء من حبى لك يغار ويترك البستان ويمشي.. لأول مرة في المدرسة يهتم عم "فالح" البستاني بالزهر لأنه يريد أن يهدي "سهر" وردة كل صباح.. كانت البنات تغار رغم أنهن جميلات مثلها.. لكن الكل كان يسأل ما سرها؟! لم يفهمن أن السر يكمن في عطرها..

كانت ضحكة "سهر" مع زميلاتها وروحها المرحة مثل الصباحات الربيعية التي تلقي عليهن البهجة

نامت "سهر" ونام العصفور بين نهديها في حضنها.. والعصافير التي في أوكارها على الشجر المقابل لبيت "سهر" تحسد العصفور اللامنتمي العاشق لأنثى من البشر على استحمامه كل ليلة بعطرها..

بينما كان يجلس "سالم" أبو "سهر" في مضيفة البيت ممددا ساقيه التي عليها نيشان الشرف من الحرب ويشرب "المتى".. دق الباب دقة دقتين ثلاثاً.. هب واقفاً على مهل صائحا: من؟

- أنا المختار "بسام" أتيت ومعي التاجر "شداد" جئنا للزيارة نشرب عندك كاسة شاي أو "متى"..
- آه أهلاً وسهلاً.. الشاى و"المتى" موجودان

قامت سلمى تهرول إلى الداخل وتغطي شعرها.. فمازال "سالم" يغار عليها كأنها لا تزال ابنة عشرين.. حين فر حاملا إياها هربا من الأعداء الفرنسيين خوفا من أن يغتصبوها.. شعر أنه هزم فرنسا العظمى لأنهم لم يلمسوا شعرة من سلمى.. الفرنسيون يعشقون نساء العرب وهو لم يدعهم يلمسونها.. فكان يبرم شاربه.. لقد هزم الشر وهرب بها إلى هنا عن طريق الجبل من لبنان إلى سوريا..

فتح سالم الباب (ززززززززززز) الباب مزلاجه قديم.. وجد أمامه خادم المختار بسام القصي يقدم له سلة فاكهة هدية

- شو هذا ؟
- هدية من المختار إليك قال لى وديهل لدار أبو سامى وأنا عبد المامور
- طيب

أغلق الباب

بسام المختار القصير المكير الذي لا يتوارى أبدًا عن فعل أي فاحشة في السر وخاصة مع النساء الأرامل والمطلقات وأيضا اللائي سافر أزواجهن إلى العمل بالخارج، بحجة أنه يرعى النساء المكسورات الجناح والمغلوبات على أمرهن وكان يراودهن عن أنفسهن، ويرواغهن ويدللهن ويشترى زجاجات عطر لهن من الشام ويشترى علب مكياج ومكاحل، قال المختار بسام لـ"سهر" عندما شاهدها:

- يا بنت

لم ترد عليه، كانت عائدة من المدرسة، كاد عطرها أن يصيبه بالإغماء.. سألها:

- بأي عطر تتعطرين يابنت.. ما اسمه؟
- ....
- يا بنت؟
- ......

اقترب منها وهو في حالة من الصدمة لأنها لا تجيب عليه وقال هامسًا:

- عندي مكحلة كانت ملكة بلقيس تتكحل بها موجودة في مسكني في الجبل احتفظت بها لأجمل امرأة.. ما رأيك لو جئت معي إلى الجبل وتكحلت بها وأعطيتك إياها؟ ولكن لا تقولي لأبيك ولا لأي أحد.. هذا سر بينى وبينك..

نظرت له نظرة احتقار ومشت.. قال صائحا:

- بعثت لأبيك سلة فواكه من أجل عيونك

فاجأه ابنه راغب بمجيئه وسأله:

- يا أبى ماذا تقول لـ "سهر"؟؟

ارتبك المختار.. تحدث راغب غاضبا قائلًا:

- أنا أريدها زوجة لى.. ابتعد عنها، وابعد رجالك عنها. أرجوك يا أبى أنت المختار تتمناك كل النساء.. وتحصل على من تشاء منهن كل البنات الصغار والكبار يخفن منك ويحترمنك.. أنا لا أريد كل النساء أنا أريد "سهر" فقط.. أريدها أن تكون قمر ليلي وشمس نهارى وصوتًا حانيًا يدفئ الدار.. يا أبى أنت تحصل على كل شيء وأى شيء اترك لى شيئًا واحدًا فقط هو "سهر"

نظر له المختار بغيظ وحنق، وقال والدم يتفجر فى عروق وجهه:

- آه يا ابن الجزمة.. أنت تحبها.. تحب "سهر".. ولماذا "سهر"؟.. اختر ما شئت من البنات سأزوجك إياها.. أى بنت.. أى ست.. مطلقة، أرملة ولكن سهر لا..

حاول راغب أن يحدِّث قلب أبيه، لكن قلب الأب حجر، كما حاول أبو موسى الأشعرى أن يحدِّث قلب "عمرو بن العاص" فى التحكيم بين "على بن أبى طالب" و"معاوية بن أبى سفيان" ففشل.. مثلما حاول أن يحدث أهل الأسرى فى الكويت قلب الأمير جابر بأن يذهبوا إلى صدام حسين للإفراج عن أولادهم؛ فرفض.. فشل راغب.. فشل أبو موسى الأشعري.. فشل أهل الأسرى.. كما فشل المتنبى أن يحدِّث قلب كافور الإخشيد.. كما فشل يزيد ابن أمه أن يأكل قلب الحسين بعد قتله.. فشلتُ أن أكون من

أهل الحب يا "سهر" وأحمل لك وردة وأنجب منك ولدًا؛ فحبك بينى وبين أبى هو الخطر.. نعم هو الخطر.. نظر إلى أبيه بضيق صرخ: "آه"

- ما بك يا ولد.. جنيت؟
- آه
- ما بك يا ولد؟
- اترك لى "سهر".. اتركها لى.. خذ كل نساء العالم وامض بهن إلى فراشك، ودع لى "سهر"..

تركتهما "سهر" يتشاجران وسارت بعيدا.. بعيدا..بعيدا!!!!!!!!!

الفصل السابع

قلت لها ارحلى للفرح هذا وطن الأحزان

فتحي رضوان خليل

سأصارع حتى الموت بحر اليأس حتى وأنا أغرق مع الوطن

مصر والأمة العربية بكت ونامت تئن ٩ و١٠ يونيو١٩٦٧ يوم أعلن عبد الناصلا أننا هزمنا.. سوريا جريحة والأردن فى وجع.. كل العروبة جريحة.. العروبة وهم أم حقيقة؟؟.. فلسطين وهم أم حقيقة؟ إسرائيل وهم أم حقيقة؟ كل شيء وهم فى الحقيقة؟

بكى نزار قبانى، وبكى الشعراء والأدباء، وبكت الجماهير البسيطة العبيطة.. نحن نبكى مثل النساء أو نحن بكاء فى صورة إنسان.. لا نملك إلا البكاء.. البكاء رحمة من السماء.. البلاد العربية ليست بلادًا حقيقية أما إسرائيل هى حقيقة.. إسرائيل هم أولاد العم وهم أكثر منا شراسة وأكثر منا قسوة.. نحن من دم واحد، ورضعنا من ثدى واحد.. نحن وهم واحد.. لنا اسم واحد فى التاريخ اسمه الكراهية التى تنتشر فتصيب المسيحيين والبشر الأخرين من الهندوس.. آه ما أقسى الإنسان ذي القلب الحجر.. سافرت إلى الإسكندرية بعد مبايعة عبد الناصر فى ٩ يونيو ١٩٦٧ فى القاهرة، وفى محطة القطارات كنت حزين القلب مثل قلوب كل البشر.. توحد صفير القطار مع دقات قلوبنا الحزينة. صار دقة واحدة..

آه.. يا بن رضوان أين تذهب فى تلك الدروب.؟؟. النكسة يعنى هزيمة.. تعنى.. الحقيقة.. لا جيش لدينا نحن العرب.. جيش مصر وسوريا والأردن والعراق كله وهم.. وهم.. وهم لا مفر.. أنا من ضيَّع فى الأوهام عمره.. عام ١٩٦٧ فارق..

على سلم الكلية قابلت ماجدة السمراء سمار الوادى نوبية من أجمل بنات النوبة، إنها ملكة هربت من قصر أبيها ملك النوبة وجاءت من كتب التاريخ.. جاءت لى هنا فى الكلية.. قالت ماجدة:

- أنت فتحى رضوان خليل

توقفت.. توقف كل كل كل شيء فيَّ.. ما هذا الجمال؟.. عيونها بريئة.. عيونها متمردة تثنى على إعجابا عيونها شباك على القلب.. اقتربت منها وسألتها:

- من أنت أيتها الحورية ؟

ضحكت.. تركت الكلية وأخذتها معى إلى محل "أتينيوس" فى محطة الرمل نشرب القهوة على البحر.. بحر الاسكندرية داعر وفاجر وبرىء وحقير وجميل وغادر وساحر.. أخذتها إلى مطعم "سيد درويش" فى محطة الرمل لتناول الغذاء، محل خمس نجوم، ثم أخذتها إلى شقة صلاح.. مفتاح شقة صلاح معى، والتي تقع فى شارع متفرع من شارع الإسكندرانى.. بمجرد دخولنا الشقة انطفأ النور علينا.. أوووه.. لا أعرف أى مكان فى الشقة؟ لا مكان الشمع أو الكبريت! الدنيا برد.. كل ما أعرفه أن ماجدة معى.. سحبتها من يدها أتحسس الطريق وجدت ما يشبه المرتبة.. هذا يكفى لكن هذه المرتبة على الأرض ليست على سرير.. لا يهم.. يقال إن الشهوة أم الاختراع.. تحسست وجهها وقبلتها.. قبلة الظلام ليس لها عنوان لا ترى عين من تحب لا ترى وجهه وهو يضيء أو يتورد خجلًا ويشع فجراً.. آه فى البرد أحتاج إلى قهوة سادة، وإلى حضن أنثى، وإلى سيجارة، وإلى وردة، وإلى لحم طرى يغطينى.. يدفئنى.. ينسينى أنثى ليس لها مكان إلا فى جنة عشقى ولا يعرف قدرها إلا ملك على قلوب النساء مثلى.. أحتاج أنثاى فى البرد والقهوة السادة قبل وبعد المضاجعة.. النكاح كلمة تشبة الكفاح.. تشبه الأرواح والسفاح والجراح.. نزلنا من الشقة.. الظلام دامس سلم البيت ضيق.. قالت واحدة من السكان:

- مين اللى نازل على السلم الواد قورة

قلت:

- نعم
- أمال فين أمك ياقورة؟
- مش عارف

ونزلنا إلى شارع الإسكندرانى.. ضحكنا كثيرا كثيرا كثيرا..أنا وماجدة
قالت ماجدة:

- الوليه فكراك الواد قورة.. ماعرفتش صوتك ولا لثغتك

ركِّبت ماجدة التاكسى.. وركبت أنا الترام إلى بيت صبرى وكيلى فى اتحاد الطلبة.. جلست فى غرفة المكتب.. راح صبرى يرحب بى قائلا:

- أعملك قهوة سادة يا ريس..
- يا ريت يا صبرى، جماعة الرحلات عاملة معاك إيه أنت خربت لى ميزانية اتحاد الطلبة ياصبرى

ضحك.. مشيت إلى مكتبته..الصغيرة فى غرفته

وجدت مذكرات محمد فريد صفحة ١١٨ طباعة الهيئة العامة للكتاب.. كتب محمد فريد: "سعد زغلول، نشأ فقيرًا وتعلَّم بالأزهر بدون أن يتمم تعليمه أو يحصل على شهادة أى إجازة بالتدريس، ثم اشتغل بصفة كاتب عند "حسين بك صقر" المحامى أمام المحاكم القديمة قبل الحوادث العرابية، وكان يلبس لباسًا بسيطًا بلديًا ويأتى مع مخدومه إلى منزل المرحوم والدى بشارع الباب الأخضر المسمى الآن بشارع فريد باشا، وفى السهرة كان هو (سعد زغلول) يحمل الفانوس أمام مخدومه لينير له الطريق فى الذهاب والإياب ويجلس (سعد زغلول) مع الخدم، ثم استخدم كاتبًا فى جريدة "الوقائع المصرية" على ما أتذكر.. بعد الأزهر عمل "سعد زغلول" محررًا بالوقائع المصرية مع الشيخ "محمد عبده" وكتب مقالتين فقط طوال فترة عمله إحداهما بعنوان غوائل الفقر (العدد ٩٦٧ فى ١٨٨٠/١١/٢٢) والثانية بعنوان الأقدام (العدد ١٣١٩ صادر فى ١٨٨٢/١/٢٨)

ولمَّا دخل الإنجليز مصر اتهم بالاشتراك فى جمعية سرية اسمها جمعية الانتقام وحبس واضطهد مع "حفنى بك ناصف"، و"أحمد أفندى سمير"، و"أحمد أفندى على"، الذى كان بالأوقاف وداسه الوابور فى محطة قليوب ولم يخلص من الحبس إلا

بمساعى المستر بلانت صديق المصريين. ولما أنشئت المحاكم الأهلية سنة ١٨٩٣ اشتغل أمامها بصفة محام، وكانت المحاماة وقتها كالبرقاء بلا شهادة لعدم وجود العدد الكافى من الدارسين وحاملى الشهادات، فنال فيها شهرة واسعة باستقامته وفصاحته. وكان له صداقة متينة بالأميرة ناظلى هانم المشهورة، وكانت لهم اجتماعات عندها يحضرها المرحومين: "قاسم بك أمين" والشيخ "محمد عبده" وغيرهما. وبسبب هذه الصداقة ومساعى الأميرة لدى كرومر.. عين سعد بك (وقتها) مستشاراً فى الاستئناف وهى حادثة لم يسبقها ولم يعقبها مثلها. ومما يؤثر عنه أنه درس اللغة الفرنساوية وعلم الحقوق وأدى الامتحانات المؤدية إلى الليسانس أمام كلية باريس أثناء وجوده بالاستئناف، وسبب ذلك أن "أحمد باشا عفيفى" زميله احتقر رأيه فى أثناء المداولة فى إحدى البرقيات، وعيره بعدم دراسته القانون.

من المعلوم أن الشيخ "محمد عبده" وإخوانه كان من رأيهم الاستعانة بالانكليز على نوال بعض الإصلاح ولو أدى ذلك لمعاداة الخديو، بل لتضحيته، ولذلك لما أراد كرومر أن يظهر بمظهر المساعد للحركة الوطنية بتعيين رجال النشأة الحديثة بالوظائف العالية، اختار سعد باشا لأن يكون وزيراً للمعارف وعرض تعيينه على الخديوي فى ١٩٠٦ أو سنة ١٩٠٥.

....

....

دخل صبرى يحمل القهوة قائلاً:

- القهوة السادة يا ريس

قلت له:

- تخيل سعد باشا زغلول زعيم الأمة بدأ حياته مع بيه مشهور حسن بك صقر ويحمل له مصباحاً ويحمل حقيبته، ومن جاور السعيد يسعد، عرفه البيك بالشيخ محمد عبده، اتعرف من خلال الشيخ محمد عبده على قاسم أمين الذى عرفه على

الملكة ناظلى، وأصبح محاميا ووزيرا.. تاريخ الوزارة والشهرة والزعامة يبدأ بالخدم، إنك تكون (خدام). وعلشان كده أنا شايف يا صبرى إن عبد الناصر معظم اللى حواليه فقدوا شرعيتهم فى ثورة يوليو بعد النكسة ولم يختر ولا واحد مننا نحن شباب الثورة، لذلك نحن خارج السياق، نحن صعاليك الشوارع نملك الحلم، والأحلام فى بلدنا تداس بالأقدام..

نزلت إلى الشارع.. تحت رذاذ مطر الاسكندرية

بعد فترة طويلة وجدتنى لا أستمع إلى أذن البشر بل إلى قلوبهم ومعظمها خرساء وبعد فترة طويلة لا أمكث فى جلسات النميمة ولا أجهد نفسى فى جمع المال فما من ثروة إلا ومعها شقاء..

وبعد فترة طويلة اكتشفت أن لا قيمة للحياة دون الله ولا دون نساء..

وبعد فترة طويلة وجدتنى فى حيرة من أين يأتى الرزق والحظ والألق وراحة البال والعشق إلا من السماء..

وبعد فترة طويلة وجدتنى بلا حيلة أمام نور الكلمة وأمام ورقة بيضاء..

٥ يونيو ١٩٦٧ هربت "بطة" مع "شكير".. بكت أمها العجوز أم بطة.. "بطة" صارت عانساً وصلت سن الأربعين. "بطة" تسكن أمامنا فى بيت دور أرضى مع أمها.. "بطة" جارتنا بيتها بجانب بيت المحبش.. أمها زرعت تكعيبة عنب.. عشش العنب على بيت "بطة"؛ فلم يستطع "المحبش" أن يراها أو يراقبها.. "بطة" لم يتقدم أحد للزواج منها.. جاء "شكير" بائع الساكسونيا يشترى كل شيء قديم مقابل بيع أدوات المنزل حلة طاسة طبق ألومنيوم.. الألومنيوم يغزو مصر وهو جيد.. أما العامل مبيض النحاس كاد يجن من الألومنيوم لأن مهنته مهدده بالانقراض.

كاظم..

أنت قمة الشهوة والارتقاء

فى البيت.. يدور ويدور مسجونا بالعشق مسجونا بعطر سهر..

سأل زميلاتها البنات:

- أى عطر تستخدم "سهر"؟ ما اسمه؟

أجمعوا أنها لا تضع عطراً، بل هو رائحة من السماء فى جسدها..

آه يا "سهر".. اشتهينى حين يختفى معنى الرجولة من الرجال.. واشتهينى بينك وبين نفسك حين تشعرين بالبرودة من الحياة.. اشتهينى شهوة الأميرات والعذارى للفرسان.. وأشعلى شمعة فى ظلام قلبك المنكسر من أشباه الرجال.. اشتهينى نايًا، ونارًا وإعصارًا، وهبوطا، وصعود السارى فى مراكب العشاق.. اشتهينى جنًّا أو ملاكاً يخطفك من سريرك فى الليل.. ويعود بك فى الفجر.. ويترك على نهدك زهور التفاح والياسمين.. اشتهينى قيثارة، ونورا، وبرجا.. أسرارا، وحلم فنار.. اشتهينى؛ فأنت قمة الشهوة والاشتهاء..

آه يا "سهر".. تؤكد الوقائع والدلائل أنك قمر وسحر وشواطىء فتنة وأحيانا مطر.. تؤكد الوقائع والدلائل أنك حلم غريب عائد من بلاد لسانها العربى الفصيح نسى الحروف وترضع الناس الخوف.. تؤكد الوقائع والدلائل أنى أمشى على زفير وشهيق النساء إذا اشتد بى الوجع.. تؤكد الوقائع والدلائل أن حبى لك ممنوع فى كل الأحوال والظروف لكنى إذا غضبت عليك سأتمتم عليك تعويذة تصيرين وردة أضعها على قميصى فوق صدرى باقى العمر فلا يراك أحد سواي..

آه يا "سهر".. رأيتنى أقرأ عينيك فيمر شريط ذكريات العشق فى رأسى.. رأيتنى أقرأ فى كفك حنان كل النساء حتى حنان أمى.. رأيتنى أقرأ فى صوتك موسيقى بيتهوفن وشتراوس وسيد درويش والرحبانية وموسيقى العشق الخفية أغانى أهل الجبل والشام.. رأيتنى أقرأ بقلبى وأذنى وهمسى ولمسى، وأنت غائبة عنى رأيتنى أقرأ

وما أنا بقارئ إلا الصدق وموج البحر والمحار والسحر والأبنوس والماء والأمطار وحمم البركان وزلزلة عينيك التى تصيب الرجال ورعد صوتك بالرقة والشفقة حين تسألين عنى.. رأيتنى أقرأ وأنا جاهل أمى لأنى فى أمة الأغبياء.

" سهر"

إن صورة مدرس العربى "كاظم" فى مخيلتها، وهى تداعب شعرها فى الفراش ممددة والعصفور بجانبها على السرير..

كان المختار "بسام" فرحًا للغاية عندما سأله التاجر "شداد" عن بيت أبي "سهر" فليتزوجها التاجر "شداد" الذى وعده أن يعطيه أوتوموبيلا فرنسيا هدية الزواج.

دق الباب على بيت سهر.. فتح أبوها الباب المختار

قال "سالم":

– تفضل..

قال المختار:

- معي التاجر "شداد"
- اتفضلوا

دخل "شداد"، أربعون عاما، رجل طويل عريض له شارب كثيف ويرتدى معطفاً وغطاء رأس عربيا يقيه من البرد، وقال بصوت مزعج أجش:

- مساك الله بالخيرات عمى "سالم"

دخل وقال المختار:

- إحنا جايبين زيارة بسيطة

دخل ثلاثة عمال أحدهم يحمل قفصا مليئا بالتفاح، وآخر يحمل قفصا مليئا بالزيتون، وثالث يحمل لفة بها قطع قماش وحلويات، وقالوا:

- أين نضعهم؟

نظر أبو "سهر" بهدوء مقاتل بطل فاز على فرنسا ولم يهزمه البرد ولا الجبل وقال للعمال حاملي الهدايا:

- هنا عند الباب.. ضعوا الأقفاص

وقال لنفسه: "لن يشتروا عقلي وقلبي وشرفي بقفص"..

كان المختار "بسام" فرحًا أن تخرج "سهر" من القرية وتتزوج "شداد" وسيقبض الثمن أوتومبيل فرنسيا كما وعده "شداد".. هو يعلم أن أباها رفض طلب ابنه "راغب" من قبل حين أرسل بعض الناس لجس النبض، وحاول مرة أخرى لنفسه أن يتزوجها هو، وأرسل وسطاء وفشلت المحاولتان.. آه.. لو دخلت "سهر" بيته وتزوجت ابنه، ونامت في أحضان ابنه فستكون كل ليلة عذاب وشجن له.. معقول إن ولده سوف يحصل على "سهر" حبيبة القمر ويتحسسها ويشم عطرها، وأنا على السرير في الغرفة المجاورة أنام مع بواقي النساء أم "راغب"، كره ابنه "راغب" عندما أبلغه برغبته في الزواج منها.. كره كل من يفكر في الزواج منها، وكان لا يعرف كيف يستولي عليها.. هل ينتظر أن يموت أبوها؟؟.. أو يموت أخوها؟.. أو تموت العائلة في حادث وتبقى يتيمة ويتزوجها أمام الناس بحجة أنها يتيمة ووحيدة؟

كان حلمًا يراوده في يقظته كلما رآها تمر من أمامه، وحين تمر يظل الحلم يطارده طوال اليوم ولا يعرف كيف يتخلص من عطرها إلا إذا بحث عن أنثى ومارس معها الجنس، ولكن كيف يبعد ابنه عنها؟؟.. لابد وأن يموت ابنه "راغب" أيضاً في حادث أو فجأة.. آه لو كان العالم ينهار كله فجأة ويموت كل البشر إلا "سهر"..

ساعتها أتزوجها بلا قلق.. لن تطاردها عيون الرجال العطشى بالشبق.. وعطرها سيكون لى وحدي.. سأشمها أنا والشجر والجبال والبحر والثلج في الشتاء والنسيم في الصيف والسحاب والمطر.. العالم أنا فقط و"سهر"

قال "سالم":

- أهلا وسهلا

قال المختار "بسام":

- "شداد" أكبر تاجر بيشتري منا زيتون وتفاح وعنده معصرة للزيتون وعنده وعنده وعنده وعنده وعنده وعنده وعنده....

قال سالم بتحفز وقلق:

- خير إن شاء الله

قال شداد بصوته الأجش:

- أنا فكرت أنك يا سالم تبقى شريكي ومسئول عن الاتفاق مع المزارعين هنا.. تتفق وتدفع عربون وتحجز محصول الزيتون..

مد يده في جيبه أخرج رزمة رزمتين ثلاث رزم من الفلوس.. أربع.. خمس و.. ونقووود غطت الطاولة.. نقود.. نقود.. نقود.. نقود..

لم يندهش سالم.. كانت نظرة المحارب البطل في عينيه لم يهتز له رمش.. ولا وتر في قلبه أو خياله عزف على لحن المال.. قال سالم:

- والطلب الثانى؟؟

- "شداد" يطلب إيد بنتك "سهر" قالك نبقى نسايب

- "سهر" ليست الكبيرة لابد من أختها سوسن أن تتزوج قبلها الأصول

فكر المختار في الأتوموبيل الفرنسى، وتبول الشيطان فى رأسه بفكرة.. صاح:

- أزوج سوسن بنتك لابنى راغب..

قام سالم جبلا شامخا ينهض وصاح:

- أنت عندك آلاف الآلاف وعندك وعندك وعندك صح

دهش الرجلان؛ قال سالم:

- أنا عندي وسام ونيشان من الحكومة السورية، وعندي نيشان من عند الله أدخل به الجنة (وعرى ساقه اليمنى حيث الرصاصة) انظر.. أنا تغلبت على الفرنسيين في الجبل حاربتهم مع سلطان باشا الأطرش والشيخ صالح العلى.. فاهم.. افهمنى

أنا عندي بارودة قتلت بها اثنين فرنساويين اغتصبوا جارتنا اهى.. (اتجه إلى الحائط وسحب البندقية وصوبها نحوهما خاف الرجلان) شو جايب فى القفص تفاح وزيتون وشوية شراطيط (قماش).. (فتح باب البيت وألقى بالأقفاص خارجه) أنا ما أحط شرف بنتى ولا كرامتى فى أقفاص انقلعوا اخرجوا من بيتى.. البنت لسه عمرها ١٧ سنة..

خرجا مهرولين، خافا من البندقية، والرجل وجهه يحمر.. يخضر.. يصفر..

صاح وهو على الباب:

- ابنتى ستتزوج من رجل يسافر بها إلى بلاد الذهب.. سترحل من الجبل.. ابنتى عشقها القمر.. اسألوا العرَّافة "شهرزاد"

أغلق الباب خلفهما..

الفصل الثامن

لا تحلمى يا روحى بالمستحيل قبل أن تستنفدى الممكن.. "البير كامى"

مر قلبى فى شوارع الحب لم يجد اسمه ولاعنوانه هل الحزن خطف ذاكرة الحب من قلبى أم أنت حبيبتى أخفيت عنوانك وعنوانى؟؟...

جلس فى حمَّام الشقة التى يقطنها مع أصحابه الطلبة: شعراء وأدباء ومطربين وحثالة النكسة.. كان يقرأ فى صبر وعجب.. تذكر أباه الحاج رضوان.. قوى البنية، قوى الصوت جبارا.. عاش الحاج رضوان خليل يتيماً وهو لم يكمل سن الثالثة، وفى الثالثة عشر أو قبلها بكثير أطلقه جده فى سوق العمل، يعمل فى كل المهن بلا كلل أو ملل.. فرضت عليه القسوة من الحياة.. عاش مثل كل المصريين البسطاء.. إلا أنه: لم يشرب الخمر أبداً.. لم يلعب القمار أبداً.. لم يزن أبدا..

أبى وطن من اليتم والكفاح.. أتذكر الآن أنه شرب مرة واحدة فى حياته خمراً حين أصيب بمرض السرطان ولم يُعرف تشخصيه، وقال له بعض الأصحاب خاصة المعلم مدبولى صاحب القهوة المجاورة :

- عندك برد يا حاج فى كليتك.. اشرب براندى تخف..

شرب زجاجة براندى صغيرة، ولم يشف، ولم يتحسن، وشعر بالذنب كثيراً لأنه خالف أوامر الله.. كان يود أن يشرب الخمر فى الجنة.. كان.. يكون.. كن.. فيكون.

كان إذا صفع رجلاً على وجهه يغمى عليه فى الحال.. يكون دوما رجلا فى مواقفه، وكان نادما في أعماق نفسه لأن فى حياته إحساس مرير دوماً لأنه صفع رجلا مرة فمات فى الحال.. قال له شيخ عارف بالله:

- إن يدك يا حاج مثل سيدنا موسى عندما صفع المصرى على وجهه مات فى الحال. والله غفر له.. وسيغفر لك إن شاء الله

تهتز الأرض تحت رجل الحاج رضوان فتنسى الأرض الزمان.. أبى يتشاجر بلسانه وصوته المهاب، ويخاف أن يغضب أو يصفع أو يضرب وإذا غضب أمسك العملة النقدية الفضية وضغط عليها فيمسح كل ما بها من كتابة فى الوجهين.

يشرب الشيشة بغزارة.. والتمباك (ورق الدخان الخام يأتى من تركيا).. والسيجار إذا وجد فى طريقه.. كان يخشى الله، ويتحدث معه ليلاً ونهارا بصوت عال أمام الناس..

- يا رب أنت شايف، يا رب أنت عارف، أعمل فى الراجل ده ايه يا رب؟

وكأن الله يرد عليه أو يحاوره وجهاً لوجه.. وكثيراً ما كان يقول:

- خدنى جنبك يارب تعبت من الناس.

حمل رضوان اسم جنة رضوان وحلماً أبدياًّ بها فهنيئا لها..

أبى يتحاشى النساء فهن شر وبلاء.. كان يقول: تستطيع أن تجمع مائة رجل فى مكان عمل فيعيشوا فى سعادة وتأتى لهم امرأة واحدة لتصنع لهم الشاي فيتقاتلون... ذات مرة وهو شاب أعزب حمل كراكيب بيته للانتقال إلى سكن جديد فوجد على باب البيت امرأة تغسل فى طشت فصاح بصوته الجهورى:

- يا ساتر.. يا ساتر

لم تتنح جانبا.. لم تضم فخذيها من على الطشت؛ صاح مرة أخرى:

- يا ساتر... يا ساتر

لم تغط قدميها العاريتين، صاح مرة ثالثة:

- يا ساتر.. يا ساتر

قالت بصوت ناعم:

- ادخل يامعلم

قال للعريجى وهو يحمل الكراكيب الدولاب والسرير والطشت:

- ارجع بينا يابنى..

ورجع ولم يسكن فى البيت..

وفى صباح ليلة تطليقه لزوجته الأولى، جاءت الجارة له بكوب الشاى بالحليب ودقت عليه الباب.. خرج من البيت ولم يعد له وأرسل ابن خالته "خميس النقاش"

ليحمل أثاث بيته إلى شقة أخرى وهرب منها.. أما سنية العايقة امرأة جميلة ترتدى ملاية لف وتأتى على باب المحل وتحمل كيسا من البونبونى أو الطوفى، وتقدمه له.. سنية لها سن ذهب فى فمها.. تقول:

- حلى بقك يامعلم عاوزين نتحلى بيك.

قال لها:

- أنا متجوز بنت صغيرة تأكلك بسنانها لو اتجوزتك..
- يا معلم مفيش ست بتأكل ست.. لا تخاف علىّ..

يحلم أبى رضوان خليل بالكعبة والجنة فقط وباقى الكون يفنى.. لم أفهم سر أبى فى هروبه من النساء.. مات وسره معه.. هذا القوى العفى الذى مات مبكرا، وأنجب ثلاثة عشر ولداً وست بنات.

أصدقاء أبى غرباء، أولهم الخواجة ميمى (اجريجى) يونانى، لحَّام أكسجين فى سن الأربعين، أعزب، ولد فى الإسكندرية من أبوين يونانيين، يتكلم كالإسكندريين (ويشخر فى لحظة الغضب) ويحرك أصابعه الوسطى وذراعه مثل أهل الحوارى.. يقول الناس عنه: "خواجة صايع مصرى" إلا أن الغريب كان يجلس ميمى أمام أبى كطفل وديع، مع أنه كان أكبر سناً من أبى..

أما الصديق الثانى كان الخواجة نيكولا إيطالى، ميكانيكى، يتحدث المصرية بطلاقة، وكان يحب السيارات والنساء فقط.. يعمل فى السيارة كأنها أنثى كلما اتسخ جزء منها يمسحه فى الحال..

أما الصديق الثالث المعلم "منعم" حداد أبواب وشبابيك، كان طويلاً عريضاً.. يخاف من أبى كثيراً، وكان أطول من أبى بحوالى٢٠سم.. مع أن أبى كان طوله ١٧٠سم..

الحاج رضوان خليل يرش بماء البحر الدكاكين ليكون الرزق وفيرا.. أهل الاسكندرية جزء من البحر، والبحر ينسى أسماءهم، ويجدد الموج قلبه بالنسيان..

بجوار دكان أبى الخواجة يوسف الترزى اليهودى، وكان يحب أن يتسامر مع أبى كثيراً حول كل شئ فى الدنيا وخاصة عن الخواجة ميمى وأنه لابد أن يتزوج من إجريجية ويتلم.

أما الأستاذ سعيد "الفراش" فى مكتب الصحة بشارع النبى دانيال، كان يعمل قواداً عند الخواجة ميمى، لأن ميمى غير قادر على عمل علاقة سوية فلابد من الاستعانة بمومس ليسد الحاجات البيولوجية.. وسعيد يتودد إلى أبى ويستخرج شهادات الصحة للعمال فى دكان أبى..

أرى الخواجات فى نظافة دائمة: فى ملابسهم، فى عملهم، أما المصريون فكانوا لا يهتمون بالنظافة كعادتهم، وكنت أشعر بالدونية؛ أنا من شعب عفن يحب العفونة والعشوائية؛ ففى الإسكندرية وفى أرجاء مصر فى كل مكان زبالة وقذارة.. الإسكندرية أكثر البلاد نظافة فى مصر كلها بسبب الأجانب المقيمين فيها اليونانيين والإيطاليين والإنجليز والفرنسيين.. ومن جاليات كثيرة.

يغسل أهالى الاسكندرية ذنوبهم فى البحر، ولكن البحر لا يغسل ذنوبه أبدًا...

أبى يحب الجلوس مع الأجانب ولا يحب الجلوس مع المصريين، إلا المعلم منعم الحداد، والحاج مرعى صاحب محلات الخضار، وكذلك المعلم حمودة البنَّاء.

تتحرش النسوة بأبى لما له من صوت نافذ؛ فهو دافئ وعنيف سواء فى البيع والشراء أو فى بيتنا ذى الخمسة أدوار. وعندما يدخل إلى أول سلم البيت يصيح بصوت عال: "يا ساتر" ثلاثة مرات، حتى تدخل النسوة من على البسطة التى أمام الشقتين فى كل دور.. تحاول كل أنثى إلقاء التحية عليه وهو صاعد على السلم بأى حجة، وهو يحاول أن يهرب من لقائهن.

على سطوح بيتنا تربيت وأنا طفل ٥ سنوات ولعبت مع البنات عريس وعروسة كى أخلع سروايلهن وأرى أعضاءهن الأنثوية..

يا أيها العابرون على ذكرى طفولتى ألقوا عليها الورد والابتسام..

فى البيت يحب المعلم رضوان خليل الجلوس مع المعلم حمودة البنَّاء.. حمودة ٥٥ سنة طويل يرتدى جلباباً بلدياً.. يلبس الطربوش.. تزوج أربع مرات.. زوجته الأولى لا أحد يعلم عنها شيئاً.. زوجته الثانية نعمة كانت طويلة ممشوقة القوام، بيضاء، غضة، نضرة مثل الفاكهة.. أو الفراولة التى تغويك بأن تشمها أو تتذوقها.. تزوجها وهى بنت سبعة عشر عاماً وأنجب خمسة أولاد وبنات، وماتت فى سن ٢١ سنة فجأة.. قيل إنه مرض السرطان أو مرض ما نادرا ما يأتى للنساء.. أما زوجته الثالثة "نجية" كانت أقل جمالاً من "نعمة" تزوجها وهى بنت ١٦ سنة.. أنجب أيضاً خمسة أولاد وبنات.. واختتم مسيرته الزواجية بفتاة صغيرة من الصعيد "فاطمة" كانت قد جاءت من الصعيد مع أبيها الذى يأتى ضمن وفود الصعايدة الذين يهربون من الجوع والموت والانتظار والصبر إلى الإسكندرية بحثاً عن المال والحياة. إلا أنها أنجبت ثلاثة أولاد وتركتهم وهربت.

حمودة مأساة عشوائية كثيرة التواجد أو نموذج متوفر فى كل شارع أو حارة فى مصر المنحوسة.. أقصد المحظوظة.. أقصد المحروسة..

أبى يحب صوت نجاة الصغيرة بلا سبب وورثت عنه؛ هذا فقلبى يتفتت حين أسمع صوتها أو صوت فيروز إلى ألف وردة أمام حنان ورقة الصوت..

أبى الحاج رضوان خليل لم يسافر إلى القاهرة طوال عمره فقد مات وهو فى سن الثانية والأربعين.. انحسر عالمه فى الإسكندرية: البحر، الميناء، الخواجات.. كره عبد الناصر بشدة بسبب طرده للأجانب خاصة أصحابه الأجانب.. كان الفقراء يقفون أمام محلاته صفوفاً ليحصلوا على وجبة مجاناً من أبى.. أبى يكره ثورة يوليو ورجالها؛ لأنها خلعت محمد نجيب، يكره الإنجليز لأنه شاهدهم يغتصبون المصريات بقوة وبقسوة.. وشاهد انكسار الرجال عندما يضع العسكرى الانجليزى قبعته على الباب حتى لا يدخل الزوج المصرى أثناء وجود الجندى معها. فى العمارات الكبيرة المجاورة لمحل ابى هكذا يحكى لى.. كان الحاج رضوان خليل يحب النحاس باشا بلا

سبب.. كان قلبه ينثر على الفقراء حناناً بسبب وبدون سبب!!.. النحاس باشا استولى على مدرسة ابتدائى وحولها إلى منزل خاص به فى جاردن سيتى أمام منزل فؤاد سراج الدين باشا ونقلوا الطلاب إلى مدارس مختلفة، وللأسف لم يعرف أبى هذا!!

وفى طريق أبى إلى الحج راكبا جملا، ذهب إلى المساجد الصغيرة فى مكة والمدينة وكان ينظفها من الوسخ فى دورات المياه.. كان همه أن يكون المسلم نظيفاً.. ومنذ أن زار السعودية عام ١٩٣٣ كان همه أن يحمل كل حاج مصرى حقيبة بها ملابس وطعام جاف لأهل مكة والمدينة والفقراء هناك.

حاول حمودة أن يقنع أبى بالهجرة إلى سوريا بعد الوحدة عام ١٩٥٨ أبى قال:

- أنت بتقول ايه يا حمودة.. أهاجر فين؟؟؟ سوريا!! كل الذين هاجروا زبالة المصريين من الناس هكذا كان يظن عندما رأى ارزل الناس سافروا..

(قال عبد الناصر: لقد استطعت أن أبنى السد العالى وأنظم قناة السويس، ولم أفلح فى تنظيم مستشفى قصر العينى، أو العلاقة بين المصريين والسوريين فى الوحدة)

حمودة يأكل أذن أبى كلما جلس معه.. كان يرص الكلام كما يرص الطوب فى البناء؛ فأرى أبى مستسلماً له تماماً، وكلها مشاريع فاشلة مثل عمل محمصة بجوار مشاريعه او مطعم سمك او يشترى بيوتا ويؤجرها.. لم يصبح أبى مقاولاً ولم يصبح حمودة ثرياً.. وكان يستطيع أن يقنع أبى أنه يفهم فى كل شئ..

كل شيء مباح فى زمن العسكر والحلم الثورى يا قرة عينى لم أفهم الفرق بين الثورة والعورة، وأبى كره الثورة وظنها عورة، وأنا تهت بين الحلم الأبيض واللون الأسود فى كحل عيون الفلاحات..

وصاحب أبى فجأة المعلم "إبراهيم القماش" السمكرى.. كان فى الخمسين أكبر سناً من أبى، مهذب بشدة.. أعزب.. لم يتذوق لحم النساء، أو يقبلهن.. هكذا كان يقول لأبى.. وكان أبى يريده أن يزوجه بأى شكل.. لكن إبراهيم القماش كان مغموساً فى

الميراث الذى ورثه عن أبيه وأمه.. أراض كثيرة فى سيدى بشر وميامى والريف.. كان الأعراب فى سيدى بشر يستولون على أرض القماش بوضع اليد..

فى مصر العشوائيون يسيطرون على الأراضى فى كل مكان.. لدرجة أنهم استولوا على الأرض التى حول مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة وسدوا الطريق فى الدخول والخروج للمسجد.. وعندما فكر أحد ولاة مصر فى عصر الاحتلال العثمانى أن يذهب إلى مسجد عمرو بن العاص فى صلاة العيد.. قالوا له لا يمكن الدخول لجامع عمرو بن العاص حتى بحصان فردى، لأن كل العشوائيين احتلوا الأراضى فلا أحد يدخل أو يخرج إلا قليلاً منهم؛ فأتى بشيخ الأزهر، وقال له: "تصرَّف".. فأفتى شيخ الأزهر فتوى دينية تقول كل البيوت التى حول جامع عمرو بن العاص بناها الشيطان وسكن فيها مع الناس.. فمن هدم بيته قتل الشيطان.. وبنى الله له بيتاً فى الجنة؛ فقام كثير من العشوائيين بهدم بيوتهم، فأفسح الطريق للوالى لصلاة العيد.. والطريف فى الأمر أن شيخ الأزهر أيضاً أفتى أن من دهن بيته باللون الأبيض فى العيد أسكنه الله فى الجنة قصراً لونه أبيض.. فقام المصريون حول جامع عمرو بن العاص بدهان البيوت باللون الأبيض..

مصر عشوائية.. أنا مصرى.. إذًا أنا عشوائى.

الفصل التاسع

آه من شفتيك التى تذيب قلبى

فتح كاظم كراسات المدرسة التى يصححها وفتح كراسة "سهر" وأخذ يشم الكراسة كطفل يشم رائحة أمه:

"معقول أنا أعمل هيك؟.. معقول أنا أعشق تلميذتى؟.. أنا فى مدرسة البنات!" وضم الكراسة إلى صدره...

وأنت فى القلب ساكنة تعالى اجمعى أحلامى وابعثى نورا فى روحى الساكنة

آه يا "سهر".. مهما يكن من الأمر الحب قدر ولا مهرب منه ولا مفر.. ومهما يكن من الأمر سأمحو من ذاكرتك كل الرجال وتاريخ عشقك البسيط كسنبلة، وسأرسم وجهك بفجر عشقى فلا تعرفى غربى من شرقى، ولا حضورى من غيابى، ولا جسدى من ظلى.. ومهما يكن من الأمر سأرسمك على سقف قلبى وأتمتم عليك تصيرين عشبة أضعها فوق سريرى، ومهما يكن من الأمر سأحلم بك فى اليقظة والنوم والبوح والهمس، ومهما يكن الأمر إن بعدتى يوما أسبوعا.. شهرا، فإنى فى بحر عشقك كل موجة وفى قلب كل محارة لى قلب لؤلؤة لك..

آه يا "سهر".. وتداعبنى الحروف وتخلع فستانها حتى العرى أهدهدها حتى تلين لى فأمتطيها كخيل ترمح فى صحراء الفكر، وتداعبنى الفكرة الجميلة الفاتنة فأنكرها فتتوسل لى عارية فأدعوها على العشاء مع أحرفى العارية فأصير أمام عاريتين جميلتين اتفقتا عليّ لأنام بينهما على سرير الأوراق.. وتداعبنى الورود فى الفاترينات وأنا رجل معجون بعشق الياسمين.. ويداعبني المطر كى أدق عليك الباب ويدفعنى الريح كى أدخل فى أحضانك لتدثرينى وتداعبينى حبيبتى.. آه يا "سهر"

جفل الحمام الذى كان على شجرة أمام بيت "سهر" حين أطلق والدها صوته أمام الدار: "أنا لا أباع ولا أشترى بالمال".. طار الحمام وحط على نافدة "سهر" ليشم عطرها وعلى صوت هديل الحمام فتحت عينيها، ونظرت للحمام الذي يريد أن يدخل لينام في أحضانها مثل العصفور المكار؟؟ حمام.. لكن النوم لمس جفنيها، فأغلق عينيها وراحت في حلم مع القمر..

أيها الراحلون إلى قرية "سهر" أعلم أنكم قادمون ليس لشراء الزيتون بل لتكحلوا العيون وتشموا وتعيشوا من عطر" سهر".. العشق فى عينيها ليل ونهار ورياح ونسائم وشجن.. أحذركم أن عشقها وعطرها وسحرها خطر؛ فلا تقتربوا من دارها أو طريقها وهى تحمل سلة التفاح وكتب المدرسة فإن قلوبكم تتحول إلى ثمر فى سلة عشاق "سهر"..

الاسم: كاظم بن ابراهيم بن الويلى..

الوظيفة: مدرس اللغة العربية فى مدرسة "سهر"

تململ طول الليل وطار قلبه ونام قلبه على شباك "سهر".. السحر والليل والقمر والعطر هو "سهر".. العجائز فى القرية يحلمون بها قبل الشباب

ليلة سوداء مرت على رأس المختار بسام أبو راغب ضاع فيها أمله في الأوتومبيل الهدية الذى كان سيحصل عليه إذا أتم صفقة زواج "سهر" من شداد أكبر التجار.. المختار علق عينيه على سقف الحجرة..

خرج شداد من القرية.. وقلبه القاسي محطم لم ينس ذلك العطر الذى شمه.. ولم ينس ابتسامتها للهواء والسماء والشجر.. كانت مثل الملكات لا تهتم بالبشر...

آه أيها القدر من أين اتيت لى بـ "سهر"؟؟

أما المختار بسام فلم يتحمل ليلتها حتى أصابع أم راغب على كتفه العارى.. كأنها أشواك جبلية فصرخ فيها:.

- جسدى لا يتحمل.. نامى وما تتحركى يا امرأة..

لقد ضاع حلمه.. "كُتب عليَّ الشقاء وكثرة الأعداء من السفهاء والأغبياء والضعفاء والبحث كل صباح ومساء عن بشر شبه رجال أو شبه أذكياء.. كُتب عليَّ الشقاء والبحث عن أنثى لم يأت بمثلها القدر هى "سهر".. كُتب عليَّ الشقاء وحب الجميلات من النساء، وبينما نامت "سهر" في فراشها فى أحضان العصفور بلا قلق.. كان شداد فى الفراش حتى الصباح فى قلق"..

خرجت "سهر" فى الصباح إلى المدرسة تحتضن الكتب والحلم بالسفر، فى الطريق قابلها راغب ابن المختار وهو يركب موتوسيكل بثلاث عجلات، ووقف أمامها قطع عليها الطريق. تلعثم التفت خلفه. قفز قلبه وشهوته على لسانه فانطلق مبتسما برعشة

- صباحو
- ......
- الصباح لله
- ......
- أنتي شايفة نفسك على إيش ؟؟ لقد فرحت أمس أن أباك رفض زواجك من التاجر شداد..

وقفت نظرت له أصابتها الدهشة.. تقطب جبينها وردتين صغيرتين بلون أحمر.. لم تخبرها أمها فى الصباح بشئ.. لم يحدثها أحد عما حدث. أمس فى الدار.. لم تكن تعلم بما حدث أمس، وكيف انتقل الخبر إلى راغب؟.. سارت ولم ترد.. سار راغب بالموتوسيكل خلفها خطوتين محبطا، لم تكلمه، لم ترد عليه، لم تتجاوب معه، كأنه سراب وليس آدمياً أو بشرا.. ود أن يختطفها ويصعد معها الجبل. راغب وأسرته يعيشون فى السهل وأبوه مختار القرية.. كلها تحترمه حتى كل البنات يتوددن إليه.. ويعملن له ألف حساب، هو ابن المختار الفتى الأشقر الوسيم المدلل تعشقه كل البنات إلا "سهر" عشيقة القمر، ولكنه يشك فى أبيه، ويعلم أن أباه يأخذ النساء الأرامل والمطلقات والغائب أزواجهن إلى الجبل سرا. الجبل يحمل الأسرار.. الفقراء يسكنونه لأنهم لا يدفعون الإيجار.. أما فى السهل فهناك إيجارات وعقارات وفلوس وحكومة، ووجع قلب. أبوه بنى فى الجبل (غرفة وحمام) بيت سرى لشهواته.. لا يريد راغب أن يعرف مكانه احتراما للأبوة، ولا يريد راغب أن يكشف سر أبيه..

في طابور المدرسة وقفت البنات يضحكن تخرج الضحكات من أفواه العذارى ألحانا شقية.. تتناثر أنغاماً فى آذان المدرسين.. وبينما المدرسات يغرن ويصرخن:

- قفى عدل يا بنت أنتِ وهى..

مر كاظم الويلى من جوار طابور فصل "سهر" يتفحصه، وبينما هو يمر كان يقترب من "سهر" وكلما اقترب من "سهر" تزداد دقات قلبه: دقة لشفتيها ودقة لعطرها يشده سحرها، وكلما اقترب منها حتى أصبح قريبًا منها بخطوتين. عزف القلب نشيدًا.

أنتِ موالى وأشعارى وغنائى وألحانى التى لم أغنها أو التى لم أعزفها بعد.. اقتربى أكثر وأكثر حتى بأنفاسك أغسل أحزانى وأعطر أيامى الحزينة بنور عينيك وبيديك تضمينى فأكون كل الكون

نزلت سوسن أختها إلى السوق، الفلاحون يأتون بالخضار المتنوع للبيع، وسوسن أنثى جميلة.. تقدم كاظم ببطء نحوها راغباً وقال:

- تتزوجينى يا بنت

نظرت له باحتقار بصقت على الأرض.. مرت "شهرزاد" العرَّافة الرائية الحكائه من جوارهما أنقذت الموقف وصاحت فى وجهه:

- يا ابن المختار بسام روح شوف لك شغلانه غير الجرى وراء البنات.. سأكلم أباك..

جذبت يد سوسن ومشت بها:

- قولي لأمك تجهز لى كاسة متى وقولي لأختك "سهر" أريدها فى كلام كثير بيني وبينها..

نظرت سوسن لها بغيظ قائلة:

- وأنا أليس لديك شيئا تقولينه لى؟؟

ضحكت العرَّافة الخبيثة عرفت أن سوسن طيبة وجميلة لكنها ليست مثل "سهر" وأنها تغار من أختها.. كل طلبات الزواج جاءت إلى "سهر"

المكان فى فصل المدرسة

من حكايا الحب الأول

الوطن ليس وردة ولا حديقة.. الوطن إما مقبرة مظلمة أو جنة .

وقف كاظم أمام الطالبات.. حاول أن يوزع نظراته على الكل سقط رمش من عينيه فجأة فى قلب "سهر".. ارتجفت: "ماهذا؟.. زلزال حدث؟.. ما هذا؟".. شعرت ببرودة أطرافها أمسكت يد زميلتها، وفى كف زميلتها وضعت سرها، وهو أول رجفة للحب العذرى.. الحب الأول.. لأول مرة تشاهد كاظم مدرس العربى.. شاربه الذى به شعيرات شقراء.. وجهه الذى تظهر حمرة الدم فيه.. رباط عنقه الأنيق..

خرجت من المدرسة تحتضن حقيبتها وسلتها ولأول مرة تضم حقيبتها إلى صدرها، وتشعر بدغدغة لذيذة فى نهديها لم تشعر بها من قبل..

كان كاظم ينظر من فوق ربوة عالية على "سهر" وهى تمر من بين الدروب.. أنت يا "سهر" يا جميلتى ستظلك كلماتى فى الطريق تهطل عليك وردا وياسميناً.. وشم عطرها من بعيد بعيد حمله الهواء والنسيم، كأنه يلتف حول رقبته مدغدغا ويدخل قلبه متسللا بنعومة، لينسج حكاية الحب الأول..

كاظم قبض عليه من قبل بتهمة الشيوعية.. لم يكن شيوعيا، هى صدفة أن وجد كتابا فى خزانة أخيه الأكبر الذى سافر فنزويلا منذ سنين.. وجد كتاب "رأس المال" لكارل ماركس؛ أبلغ عنه أحد أصحابه عندما وجده عنده.. خيانة الأصدقاء مستمرة وأمر طبيعى لا يعرفه الأغبياء وعندما سألوه: "هل أنت شيوعى؟".. قال: "لا".. قالوا: "يا بن الكلب اعترف".. ضربوه.. عذبوه.. أهانوه.. وبعد عام أخرجوه من السجن وعمل مدرسا هنا فى المدينة البعيدة بين الجبل والسهل..

كان كاظم يؤمن بأن المدرس هو المعلم الذى يصنع القائد والشرطى والطبيب والمهندس، وهو الأول فى المجتمع.. قال بعض المدرسين الماكرين أنهم عذبوه فى

السجن.. وقال آخرون: إنهم اغتصبوه، وقال البعض إنهم عذبوه واغتصبوه والله أعلم.. قال له الضابط قبل الإفراج بدقائق:

- أنت شيوعى يا ولد؟ قل لى.. ريحنى.. أنت ستخرج الآن.. هل تحب ماركس؟؟
- لا
- تحب من؟؟
- جمال عبد الناصر
- من سيء لأسوأ خليك أحسن شيوعى يا ولد..

الوطن ليس وردة ولا حديقة.. الوطن إما مقبرة مظلمة أو جنة.. الوطن إنسان ومشاعر.. آه يا قلبي المهاجر مع الأحلام، كان الوطن بالنسبة لي في الحلم بستاناً وأماناً وشجرة زيتون وشجرة أرز، الوطن حنان، آه يا أنشودة الأيام الحبلى بالقصائد المتمردة بالثورة والتغيير وأغاني الأطفال، كان جدك يحلم بأن فؤاد باشا الأطرش سوف يحرر الشام ويحرر الإنسان وتتحقق الأحلام.

كاظم نظر إلى قباء المدرسة وجد البنات يجرين ويلعبن ويضحكن في الفسحة، لكن "سهر" عطرها كان يسير ببطء ناحية نافذته عندما اقتربت وهي تجري مع البنات إلى ركن قريب من نافذة حجرة المدرسين قالت لها إحدى البنات شيئا ما وهي تشير إليه ضحكتا، شعر بالخجل وأغلق النافذة واحمر وجهه، ترى هل تعلم البنات أنه يحب "سهر"؟ هل افتضح أمره؟ بسرعة أسرع من البرق؟ هل يتجنبها؟ لماذا ضحكت زميلتها؟ وماذا أشارت عليها الملعونة؟ الحصة القادمة هو هناك، من حسن حظه أن مدرس اللغة العربية هو أكثر المدرسين حظًا في التواجد في فصلها، حصة تعبير وحصة نحو وحصة قراءة وحصة خط وحصة إملاء وحصة مكتبة إنه أكثر المدرسين حظا في رؤيتها.

قال أحدهم ذات مرة:

- هذا الفصل فيه شوية بنات مشكلة.

لم يجرؤ أحد على تحديد الاسم أو البنت الكل يتمنى حصة إضافية أو احتياطية حتى يستعرض عضلاته وأفكاره أمامها، وبعضهم يسألها عن اسمها طبعا بعد أن يسأل زميلتها المجاورة لها وقبلها يسأل الصف الذي أمامها.

الليل في القرية الجبلية جميل يحمل زهور التفاح والياسمين والريحان، الليل إنسان، يقولون إن الليل إنسان أحب فتاة تحولت فيما بعد إلى قمر، جعل الله الليل والقمر يعيشان متلازمان..

"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ"

عادت سوسن من السوق في الطريق، قابلت المختار أبو راغب أوقفها:

- يا سوسن يرضيك ما فعله أبوك أمس؟ الجنة فتحت لكم أبوابها، المعلم شداد تاجر كبير في كل الشام.
- ......
- عندما يغضب المعلم شداد سوف لا يحضر إلى القرية، كم فلاح وتاجر زيتون سيخسر؟ أبوك راسه ناشفة، أنا أحضرت لأبيك مغارة علي بابا وكنزه يأخذ منها ذهب، ياقوت، مرجان. وإذا كان ولابد من زواجك أولا ابني راغب يتزوجك، وإذا لم يعجبك راغب أنا أتزوجك.. ها ما رأيك ؟؟ قولي نعم، سأذهب الليلة ونطلب يدك.

نظرت إليه بغيظ وقالت:

- أبي لا يحب مغارات علي بابا ولا كنزه أبي ليس حراميا أبي ليس لصا.. عن إذنك، عيب أن توقفني في الطريق وتحدثني، أنت رجل كبير ومختار..

نظر لها بضيق:

- ترفضين زواج ابني أو الزواج مني؟ رأسك ناشفة مثل أبيك، لا تنسي أنكم فقراء.. ستعيشون فقراء وتموتون فقراء

نظرت له:

- أبي بطل حارب الفرنسيين، وأنت تعاونت مع الفرنسيين..
- إشاعات.. أنا بطل ولو تعاونت مع الفرنسيين لما عينت من الدولة هنا كانوا شنقوني.

تركته ومشت.. تعلم أن أباها فقير ولكنه يملك قطعتى أرض صغيرتين ويؤجرهما لبعض المزارعين ويرضى بالقليل، ويشعر أنه أغنى رجال القرية والجبل، وأنه أشهر رجالها.. إنه بطل قتل ثلاثة من جنود الفرنسيين وقابل فؤاد باشا الأطرش وصافحه ولم ينس أن الليل لابد أن ينجلي. الكل بالقرية يهابه حتى المختار بسام الذي يتعامل معه بحذر دائما، العملاء يحصلون على مكافآتهم من كل نظام لولائهم له بلا حدود.

سوسن تدرك أنها جميلة وأن "سهر" تتميز بأشياء أخرى.

دخل كاظم الفصل نظر إلى البنات وحاول أن يتجاهل "سهر"، شعرت بالحزن، لكن الذي أفرحها وأبهجها أن العصفور الشقي عرف عنوان مدرستها وجدته يحلق في الفناء كأنه يبحث عنها.. دار حول الفناء مرة ثم مرة ثم مرة، طار.. طار.. حتى بدأ يتبع قلبه آه من قلب عصفور يبحث عن أنثى من البشر يحبها ويعشقها.. هو يعلم أنها تحبه وأنه حبيبها الذي ينام بين نهديها.

اقترب قليلا من شبابيك الفصول وهو يحوم بجناحي عصفور عاشق تطير تهيم على المبنى، نعم إنه يقترب من فصلها، عيناها تطيران فرحا وهي تراه بفرح وألق.

كان كاظم يتوقع أن تكون في ذهول أو دموع لأنه تجاهلها هي بينما انشغلت هى بقلب عصفور يطير وتجاهلت قلب بشر حائر.

وقف العصفور على النافذة ، قامت "سهر" فتحت نافذة الفصل بسرعة بفرح برئ براءة الملائكة، حدث هرج ومرج في الفصل، دخل العصفور قفز على صدرها، صرخت البنات وهاجت وماجت.

صاح كاظم:

- سكوت.. ماذا يحدث هنا؟؟

قالت زميلة "سهر":

- عصفور "سهر" يا أستاذ

تجمعت البنات حول العصفور، وتركن الطاولات، وأصبح كل الفصل حول طاولة "سهر"، رمش العصفور بعينيه خجلا، كل هؤلاء صحاباتك يا "سهر"، تمنى أن تأخذه بين نهديها وتخفيه عن كل العيون وعن عيون البشر. وقف كاظم المدرس الشاعر المهذب في لحظة تكاد أن تكون: أسبوعا، شهرا، سنة، دهرا.. لمح قلب العصفور يدق مثل قلبه بعشق واسم "سهر"، قفزت عيناه في حيرة وقلق:

- ممنوع دخول العصافير الفصول ولا الحيوانات

قالت إحداهن:

- هذا ليس حيوانا يا أستاذ.. هذا طائر

صاح كاظم:

- اتركي العصفور.. ألقى به من النافذة

صاحت البنات:

- حرام يا أستاذ.

دخلت سوسن البيت.. ألقت سلة الخضروات على الطاولة.. نظرت أمها في السلة لم تجد قلوب الرجال ولا ورود هدية ولا تحايا البائعين والتجار، كل من يقابل "سهر" يعطيها هدية أما سوسن فسلة هداياها عادية: طماطم، فاصوليا، بصل.. قالت سوسن:

- ما بك؟

ثم تنهدت وانفطر الحزن حبات لؤلؤ على خديها:

- أنا حظي في الحياة قليل يا ربي.. يا ربي خذني وريحني.

خرجت الأم من المطبخ في قلق

- ما بك؟.. ماذا جرى؟ ماذا حدث في السوق؟ هل ضايقك أحد؟ هل تشاجرت مع أحد الباعة؟.. تكلمي ما بك؟

أخذت حبات اللؤلؤ تنهار على خديها، هي لها نهدان مثل "سهر" لكن نهدي "سهر" في ألق وزهو وشموخ.. هي تملك شفتين مثل الكرز لكن "سهر" يفوح من شفتيها عطر ما ومن جسدها أيضاً.. هي تملك جسدا فاتنا لكن الله قسم جسد "سهر" في لحظة نور فكان كل جزء منمنمات في لوحة الخلاق، قال لها أحد العواجيز ذات يوم: "يا سوسن أختك "سهر" سبحان من خلق قمر ليست من البشر.."

صاحت الأم

- ما بك؟

دخلت غرفة النوم وأغلقتها بعنف.

وقليلا ما أحلم

يوسف الخال

سأفتح بابي لك

حتى لا تهجرني

فاهجرني إن شئت!!

عندي الليلة أحلام تصعد بي نحو القول المطرود اللاجئ فوق شفاه عذراء

وقليلا ما أحلم، أحلم بالآيات الصغرى، لا بالكبرى، خوفا من

صوت البحر، فأنا يونان من نوع آخر لا يلعب بالأمواج كما لو كانت

أسنان الفيل.

سأفتح بابي لك

وأنا أعلم أنك لا تهجرني، فاهجرني إن شئت.

عندي أحلام الليلة، أرضى بالأحلام

حتى ينشّق الفجر،

عن قبر دفنوا فيه الأحلام فقامت أحلام

في حجرة سوسن.. وضعت رأسها على الوسادة وتساقط الحزن حبات دموع ووجع آه يا أمي ماذا أقول لك؟ كل الرجال يسألون عن "سهر".. يتحدثون معي كي يسألونني عنها وعن أحوالها، كل الرجال والشباب والعجائز، ابنتك هذه ما بها؟.. هي تقف أمامي وأمام بنات القرية والجبل.. كل النساء ينظرن إليها بحسد، أنا لا أحسدها هي أختي ولكن ماذا أفعل؟؟.. حتى المختار يريد أن يتزوجني هو وابنه كي يهديها إلى المعلم شداد تاجر التفاح والزيتون. الحزن يا أمى ليس له وطن.. الحزن بحر نسبح فيه والفرح قارب النجاة وهو كلما جاء كطوافة أبعدته أمواج الألم.. لا شيء حقيقى هنا.. لا شيء يصدق..

دق الباب.. دخلت "شهرزاد" البيت، وجلست فى هدوء.. أعدت الأم "المتى" وقهوة الظهيرة، وعادة تشرب المتى في جلسة الصباح.. الأم فرحة ومتوجسة.. ترى ما الذى أتى بـ "شهرزاد" إلى هنا في تلك الساعة؟.. ماذا تحمل بين ضفتى الغيب؟.. هى تعرف الليل والنهار.. تعرف الأسرار وما يخفى فى قلوب النساء والرجال.. صديقة النجوم وحبيبة الجن الجميل... شهرزاد كل شيء فى كوخها جميل وبسيط ولا يوجد مثله فى القرية حتى أقاربها هاجروا إلى الجبل بعيداً.. بعيداً عنها وعن القلق..

سألت "شهرزاد":

- كيف "سهر"؟

قالت الأم:

- ماذا بها "سهر"؟؟

فتح باب الدار ودخلت سهر.. ألقت على أمها السلام.. وجدت "شهرزاد"، ضحكت وابتسمت وقالت لها:

- أنت هنا يا "شهرزاد" أنا أرى نورك يملأ المكان والدرب

ضحكت "شهرزاد".. لمعت أسنانها الذهبية، وكأن الشمس تلمع معها قالت لها:

- القمر.. القمر أنت صديقة القمر حبيبته لا يعرف هؤلاء الفلاحون قدرك ولن يفهموا أبدا سر عطرك يا "سهر"

قالت أمها سلمى:

- أعتبر هذا حسدا أم غزلا؟؟

قالت "شهرزاد":

- أريد زعتر وزيتوناً وزيت زيتون.. أنا جوعانة

قامت الأم لتجهز الطعام.. جذبت شهرزاد العجوز، "سهر"، وأخذتها إلى ركن وقالت:

- اسمعى يا بنت سالم.. أنت لن يتزوجك ولا أى واحد من الفلاحين.. سيأتى من يأخذك إلى الخارج صاحب علم وفهم ويسافر بك إلى بلاد الذهب وتركبين مركبا علمها شمس وقمر.. أنت مثل قمر..

- ومن هى قمر؟

- أنت الروح السابعة لها يا "سهر".. التناسخ سبعة أرواح وروحك الأولى كانت قمر، كانت فى مصر، وكانت مثلك تماما..

جاءت الأم.. قطعت الحديث، وأتت بالزيت والزعتر والزيتون، وجلست بجوار "شهرزاد"

- ماذا كنت تودين من "سهر" وما الذى أتى بك إلى هنا؟

- شداد رجل ثرى وتاجر.. هذا التاجر يتزوج كل عام من امرأة جميلة.. ويتركها ويرحل، والحمد لله كشفت سره لأهل القرية حتى أنهم سيمتنعون عن بيع التفاح والزيتون له..

- أحسن

فتح الباب الأب سالم ودخل.. قائلاً:

- السلام عليكم

ردت الأم:

- وعليكم السلام

نظر؛ وجد "شهرزاد".. رحب بها، وخلع العباءة، ودخل إلى غرفته وجد داخل الغرفة سوسن ابنته، دهش.. لمح الدموع فى عينيها.. سألها وألح فى السؤال:

- ما بك يا بنت؟

- ......

اتجه إلى السرير، وجلس فوقه، وتنهَّد قائلا:

- أعرف الموضوع.. السبب العريس الذى جاء لأختك وأنت لا.. اعلمى الزواج قسمة ونصيب، لم يحن الوقت بالنسبة لك بعد.. اطمئني سوف يأتى نصيبك قريباً وسوف تتزوجين بأفضل رجل ولن أسمح بالزواج لها من أى شخص قبل أن تتزوجي أنت.. فهمت؟

طبطب عليها.. ربت على كتفيها

كانت دموع سوسن تنزل على خديها كل دمعة آهة ولوعة وحسرة..

لم يدرك الرجال في القرية أن جسد سوسن أبيض مرمري، وروحها جميلة مثل البلور.. لم يعرفوا أن نهديها تفاحتان لم يمسسهما إنس ولا جان، وأن خديها وردتان جبليتان لا يمسهما إلا الهواء الجبلي النقي العذري ذو الكبرياء.. هل الرجال عميان عن جمال سوسن أم أنهم سائرون نياما؟

لملمت سوسن شعرها مسحت آخر دمعتين حزينتين.. تتنفس البنات والنساء بالبكاء!!

خرجت سوسن من حجرة الأب.. لملم الأب سالم حزنه.. كان يود أن تكون خلفته كلها صبيان شباب، لكن البنات يحتجن إلى قلب رقراق وهو شاهد كيف كانت النساء ابتلاء للرجال وعليهم ان يحافظوا على النساء وشرف القرية في الجبل؟؟ وكيف حاول الفرنسيون اغتصابهن حتى يمنعن المقاومة ويمرغن شرف المقاومة فى الوحل؟؟..

لكنه رزق بفتاتين وولدين.. نظر في المرآة وخلع العمامة ولعب في شاربه الأشقر وتنهد.. "آه كبرت بناتك.. وأصبحت في ملقى الرجال وطلباتهم لبناتك.. هذا معناه أنك فى خطر آخر يجب أن تعمل حسابه، وأن تكون فطنا، وإلا غاب عنك الأمان.. عيناك على البنات، على الأرض، على السوق، على الغلاء، على القرية، على الماضى والحاضر..

آه الحاضر كسول وممل وتعيس.. كان الماضي حيًّا.. كفاح ونضال وتحرر واشتباكات وانتصارات.. الآن الأمور ليست هكذا، أعطوا كلا منا نيشاناً ووساماً وشهادة تقدير ولا شئ بعدها.. لا شئ حصل.. الجنرالات حصلوا على كل شيء، وأصبحت المقاومة الشعبية فى خبر كان.. تاريخ الوطن فى المقاهي لا يجمعه أحد، وتاريخ الجنرالات فى المدارس تسعة وتسعين فى المائة منه كذب فى كذب والمدرسون يعلمون تاريخ الوطن الكاذب الذى كتبه الجنرالات..

جلس كاظم فى الشرفة يشرب الشاى.. شاهد عصفوراً يطير فى السماء فى الليل متجها إلى بيت "سهر".. آه يا "سهر" عندما تغفو عيناك على وسادة المساء تتسلل روحى منى وتغادرنى إليك.. إلى روحك.. إلى قلبك.. إلى عقلك؛ كى تحميك من الأحلام المزعجة وتغسل ذاكرتك من عيون الرجال التي تلاحق جسدك كل يوم وأنت تسيرين وتلتصق كالذباب على العسل، وتهدهدك بالرؤى الجميلة وبحكايات السندباد وست الحسن والشاطر حسن.. آه.. لست أنا الشاطر حسن، ولكنى كاظم مدرس اللغة العربية.. أيتها الصبية الهيفاء إن عطرك يلاحقني طول المساء بلا ملل من روحي فأتنفس بعطرك وفى الصباح تعود روحي لي ويعود عطرك إليك.. كلما قرأت القرآن أو الإنجيل أو التوراة عرفت أن الله رب الشعر، وكلما نظرت فى عينيك عرفت أنى بالعشق معجون.. وكلما سمعت صوتك الهادر بحنان كأمواج البحر أقول من أنت يا "سهر"؟ فأنت لا تردين.. ولا يجيبنى إلا المطر؟؟ أم الشمس؟ هل أنت الحضور أم

ملكة ملكات التاريخ؟ أم رعشة فى الدم؟؟ واشتعال الروح؟؟ أم أنت زهور ارتوت بدم الحسين والمتنبى وبلقيس وكليوباترا؟؟.. أنت شرفة للشهوة تطفئ القلب.. ثمة احتمال أن أدق باب قلبك مرة.. ثمة احتمال أن أنهض نحو الشمس أجدنى متجها نحو القمر.. ثمة احتمال أن أكتب بأصابع يدى وقدمى وأصابع قلبى وروحى.. ثمة احتمال أن أصير برقا وأشرب من شفتيك ضوءا وأعلن أنى قررت أن أكون عطراً لألمس جسدك كل لحظة دون أن يرانى أحد..

جاء المساء ثقيل الخطوات جميلا بهمومه بحزنه بقمره بنجومه بحنين خفي كعزف الناي على أوتار وجع خفي.. تحركت الناس تروح وتجيء.. وتطل من شرفتها سوسن وبجوارها "سهر" تراقب الفتاتان الشارع من خلف الزجاج.. المارة قلة، ولكن هذا لا يمنع العصفور من أن يحوم حول البيت يريد الدخول من النافذة، صرخت سوسن:

- ما حكاية هذا العصفور؟

قفز قلب "سهر".. فتحت النافذة بسرعة.. صرخت سوسن:

- ماذا تفعلين يا مجنونة؟؟
- دعيه يدخل حرام
- حرام عليك أنت.. دعيه يذهب إلى عشه.
- عشه هنا.
- هنا أين؟

أشارت "سهر" إلى صدرها وضحكت.. قالت سوسن:

- أنت جنيتى؟

ضحكت "سهر".. اهتز قلب العصفور وريشه رقص.. قالت "سهر":

- انظري يا سوسن

حملت "سهر" العصفور في كفيها.. ضمته إلى صدرها.. ثم عطرها، أغمض عينيه فى فرح، وهى تضعه على صدرها بين نهديها

ابتسمت سوسن، ولم تصدق، واستغربت بفتور، وقامت للداخل لتنام فى حجرتها بينما أخذت "سهر" العصفور فى أحضانها وراحت تتمدد على السرير..

كان العصفور يتحدث مع الله:

- ربى ورب الناس وكل الناس ارفع عنى البلاء واجعلنى بشرًا أنا لست معترضا، ولكنى أطمع فى العفو والرحمة والعتق من مكانة العصفور.. أنزل لى آية واجعلنى بشراً.. اللهم أرفع عنى شقاء عقلى وقلبى من جهلاء العصافير.. اللهم لا تجعل رزقى بين يدى عبيدك البخلاء.. اللهم أسألك أمن نفسى وأن ترحمنى من كيد الأعداء من الصقور والصيادين.. اللهم أجعل صدر "سهر" وطنا لى غير هذا الظالم، وأنقذنى من الظلماء.. اللهم أسألك برجاء اكشف عنى البلاء.. آمين.

رائحة التفاح والزيتون والليمون تهب من الأشجار تلفح وجه كاظم فى البرد فى شرفته في المساء..

الفصل العاشر

كنا نحلم بوطن أجمل

البنت/ الصرخة على شاطئ البحر بنتٌ، وللبنت أهل وللأهل بيتٌ. وللبيت نافذتانِ وبابْ.. وفي البحر بارجةٌ تتسَلَّى بِصَيْدِ المُشَاةِ على شاطئ البحر: أربعةٌ، خمسةٌ، سبعةٌ يسقطون على الرمل. والبنتُ تنجو قليلاً لأنَّ يداً من ضبابْ يداً ما إلهيَّةً أسْعَفَتْهَا. فنادتْ: أبي يا أبي! قُمْ لنرجع، فالبحر ليس لأمثالنا! لم يُجِبْها أَبوها المُسَجَّى على ظلِّهِ في مهبِّ الغِيابْ دَمٌ في النخيل، دَمٌ في السحابْ يطير بها الصوتُ أعلى وأَبعدَ من شاطئ البحر. تصرخ في ليل بَرّية، لا صدى للصدى. فتصير هي الصَرْخَةَ الأبديَّةَ في خَبَرٍ عاجل لم يعد خبراً عاجلاً عندما عادت الطائرات لتقصف بيتاً بنافذتين وبابْ!.

محمود درويش

فتحي رضوان

الحب جريمة فى زمن الحقد.. فتحى رضوان حبيب "سهر" في المستقبل

فكر طويلاً.. ماذا يحدث لو عاش أبوه وشاهد نكسة ١٩٦٧.. ماذا يحدث لو علم أن آلاف المصريين ماتوا فى الصحراء ولم يحاربوا..

ورثت عن أبى حب الوطن بطريقة عشوائية، وحب النظام، والنظافة، وحب عمل الخير فى أهله وغير أهله.. لم يزن أبى فى حياته.. طوال حياته لم يلمس امرأة إلا زوجتيه، وأنجب منهما ١٥ ولدا وبنتا.. ماتت البنت صغيرة.. ومات تسعة أولاد.. وبقى خمسة أولاد.. أمى وزوجته الأولى ظلتا يكرهان بعضهما طوال العمر.

حانت الفرصة لأبى بأن ننتقل بالسكن إلى محطة الرمل بجوار سينما ماجستيك فى شارع شكور بالإسكندرية، إلا أنه أصر أن يقيم فى شارع محسن باشا.. ومحسن هو أحد الباشاوات الذين كانوا يقطنون محرم بك وهو موازى لشارع الإسكندرانى، وهو الإسكندرانى باشا أيضاً يمتد إلى شارع منشا باشا وهو يهودى الأصل.. منشا باشا له قصر والأشجار تحيط بالشارع والهدوء.. أما شارع محسن باشا فكان فى نهايته وبالقرب من الشارع الموازى له "شارع الإسكندرانى" قصر البرنسيسة أميرة تركية من العائلة العلوية "عائلة محمد على".

هجم الغجر على شارع محسن كانت قافلة، بنوا على ترعة المحمودية بيوتاً من الصفيح والخشب، عملوا فى التجارة وفى السحر، والحواة، والجزارة، والحدادة، وزحفوا إلى شارعنا.. كان أشهر ثلاثة من الغجر: "حفيظة" سمراء ذات ابتسامة أنثوية ليست جميلة وليست قبيحة.. تزوجت من الدوكش.. أنجب منها أربعة بنت اسمها "جمهورية" وأخرى "فادية" وولدان "محمد وعوض". مات الدوكش مبكراً فترك حفظية للريح وقطعة أرض استولوا عليها بوضع اليد "عشوائية الأراضى".

أما الثانية فكانت "حماصة" أخت حفيظة، وقد تزوجت عبد الإله الذى كان يبيع الخضار أحياناً، وحمالاً للحوم على عربة يجرها حصان "عربجى"

أما الثالثة فكانت "عزيزة" زوجة عبد العال ابنة خالته.. أنجبت بنتين.. "فاطمة وسحر"

أما الرابعة وأكثرهن إثارة كانت "حندوقة" حاوية.. تخلع جميع ملابسها فى عرض الشارع ولا تبقي عليها إلا الملابس الداخلية إذا تشاجرت وتلعب بالسكاكين فى يدها.. فهى تمسك فى يدها أربعة أو خمسة سكاكين تلعب بها أكروبات فيخافها الجميع.

حندوقة كانت تثير شهوة الرجال فهي تعرف سر سحرها، ربما هو الغمازتان اللتان على خديها.. ربما هو الوشم الأخضر الذى على ذقنها.. وما أجمل النساء بالوشم والنغازتين..

كان أبى يقول إنه كلما شاهد هؤلاء الغجر الفقراء سجد لربه وشكره أكثر، ولكن إذا انتقل إلى محطة الرمل فإنه سيتبطر على الله ويطلب المزيد، ويطلب قصراً من الله ليسكن فيه.. كما أن الغجر كانوا يكنون له احتراماً شديداً؛ فهو الحاج.. القوى البنية.. التاجر الثرى.. له بيت من طوب وأسمنت وليس صفيحاً مثلهم.. يأتى كل ليلة بعربة حنطور توصله إلى البيت، ويدخل الخيل بالأجراس التى فى عنقه تسمع الحارة وتعلن قدوم الحاج رضوان..

وكان البعض يتودد إليه أحياناً لطلب سلفة أو صرف وصفة طبية من الصيدلية وكان يدفعها الحاج رضوان فوراً.

أحب فتحى حندوقة وهو طفل، مع أنه كان طفلاً ولم يصل سن الحُلُم فكان يرى فى حندوقه أنوثة طاغية.. آه لو كبر فجأة واغتصبها.

لأن موسى قطعت يداه،

ولم يعد يتقن فن السحر..

لأن موسى كسرت عصاه

ولم يعد بوسعه شق مياه البحر

لأنكم لستم كأمريكا.. ولسنا كالهنود الحمر

فسوف تهلكون عن آخركم

فوق صحارى مصر..

"نزار قبانى".. هوامش على دفتر النكسة

* * *

هل قتل أبناء الكتاب وحرق كتبهم يريح الحكام الظلمة من المثقفين وأقلامهم؟؟

كيف حدثت النكسة وهزيمة يونيو؟؟ من سيكتب عنها؟ ما هى الحقيقة؟ هل من جرىء يخبرنا؟ أين الجبرتى؟؟ أبو العزم عبد الرحمن الجبرتى.. ولد بالقاهرة عام ١٧٥٤ ميلادية.. أرسله أبوه وهو طفل إلى مدرسة السنانية بالقرب من منزلهم بالصنادقية ليحفظ فيها القرآن، وأتم حفظه فى سن الحادية عشرة.. زوَّجه أبوه فى سن الرابعة عشر فى عام ١١٨٢، وظل عبد الرحمن يتردد على حلقات الشيوخ فى الأزهر، ثم يمضى إلى بيته فيتلقاه أبوه متحدثا إليه فى التاريخ وأحداث عصره فقد كان أبوه محبا للقصص والأغانى.. مات أبوه وهو فى سن ٢٢ عاما، وترك له ثروة ضخمة مادية وأدبية.. ترك له بيوته فى بولاق والصناديقية ومصر القديم، وبنى بيتا أشبه بقصر، كان قصرا فاخرا به حجرة متسعة للطلبة الذين يأتون إليه.. ترك له أبوه كنوزا من الكتب والعلاقات والصداقات مع العلماء، وظل متصلا بالأزهر وشيوخه إلى أن التقى بالسيد مرتضى الزبيدى اليمنى صاحب كتاب "تاج العروس" ودرس على يديه ثم تزوج زوجة أخرى فى عام ١٧٩٥ وأنجب منها ابنه خليل إلى أن جاءت الحملة

الفرنسية إلى مصر فى عام ١٧٩٨ فترك القاهرة إلى مزرعته فى (ابيار) وعاد حين طلبوا من العلماء العودة.. وعينه (عبدالله مينو) نائب هتلر وكليبر فى ديوان العلماء، وبعد خروج الفرنسيين كتب كتابا أسماه (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس) وأهداه إلى يوسف باشا (يوسف باشا قائد عثمانى وهو من استلم القاهرة من الفرنسيين) الذى أهداه إلى السلطان سليم الثالث الذى أمر بترجمة الكتاب إلى التركية.. فى أواخر أيام حياته عين مؤقتا للصلاة وهلال رمضان فى ديوان محمد على باشا.. كيف حول الطاغية محمد على، الجبرتى إلى موظف يحدد مواقيت الصلاة ويكتشف الهلال حتى لا يدون تاريخ ويوميات مصر ويكشف عيوب الديكتاتورية مع ان الديكتاتورية هى النظام الأمثل للشعب المصرى؟..

(قام جمال عبد الناصر مرة بتحويل الصحافيين الشرفاء إلى وزارة الصحة والزراعة وفعل نفس الشيء السادات السجن القاتل والسم البطيء اليومى، ومحمد على فعلها مع الجبرتى ووضعه بعيداً عن دوره التنويرى والثقافى والمعرفى)

وكتب الجبرتى فى آخر كتابه هذا إنه يعانى من (تشويش البال، وهم العيال، وتكدر الحال، وكثرة الاشتغال، وضعف البدن، وضيق الوطن). كان محمد على مرعوبا مما يكتبه الجبرتى من يوميات، وهدده ونقله إلى قصره موظفا تافها..

لم يفلح عقاب محمد على فى الجبرتى بأن يوقف رصد يوميات تاريخية؛ ففكر فى موته قهرا؛ ففى صباح الثامن والعشرين من رمضان سنة ١٢٣٧هـ فى ١٩ يونيو ١٨٢٢ كان خليل بن عبد الرحمن الجبرتى، وهو أحب أولاده لديه، عائدا من قصر محمد على فى شبرا بعد صلاة الفجر؛ فخرج عليه جماعة أخذوا يضربونه حتى قضى عليه وخنقوه.. وربطوا قدمه بحمار بسحله.. فى الصباح وجد الناس خليل بن الجبرتى مقتولا وعلى صدره دفاتر مكتوبة واسطرلاب لرصد النجوم.. قالوا فى إشاعات إن سليمان أغا السلحدار ومحمد بك الدفتردار صهر محمد على وأن الأخير استأذن محمد على فى مؤامرة قتل خليل.. أصيب الجبرتى باكتئاب وترك الكتابة والتأليف وانقطع عن

القراءة وألح عليه الحزن وأكثر البكاء حتى ذهب بصره، وبقى مريضا فى الدار، وترك ابنته، ثم أحرقوا منزله بالصنادقية حتى يحرقوا كتبه ومسوداته عن "محمد على" وحتى لا يعرف الجيل القادم ما جرى..

أدركت تلك اللحظة أنه لن يكتب ولن يجرؤ مؤرخ على كتابة أسباب نكسة يونيو ١٩٦٧!! كل شخص يتحسس جسد ابنه أو ابنته..

هل قتل أبناء الكتاب وحرق كتبهم يريح الحكام الظلمة من المثقفين وأقلامهم؟؟

***

كاظم

سأرسم على جسدك كل بحور العالم العاشقة

يا "سهر" سأفرش لك السرير ياسمين وأقيد يديك وقدميك فى أعمدته الأربعة عارية كما ولدتك أمك وأكتب على كل جزء من جسدك قصيدة عشق.. وسأرسم على جسدك كل بحور العالم العاشقة وأشعل فى كل الأركان شموعي، وحينما أرتل كل أناشيد العشق سأفك قيدك وأجلس معك على السرير أتوضأ بنورك..

الليل يحتضن القرية التابعة لمحافظة السويداء.. الليل أب قاس وشاعر وفاجر وماجن وحنون ومزاجي وصاحب هوى وستار ويغمض عينيه بدهاء وشموخ.. وبهاء الليل أحيانا سكران وأحيانا تعبان..

في القرية مر أبو الشوارب العجوز ذو السبعين عاما، ليس هو الوحيد الذى يحمل هذا الاسم فهناك شاب يحمل نفس الاسم أبو الشوارب ويحكى حكايات ومغامرات مع النساء يشيب لها الرأس. جلس العجوز أمام ركوة نار قد جهزها خفير أرض زراعية لأحد بكوات القرية سافر إلى فنزويلا فجمع مالا كثيرا اشترى به أرضا في القرية وبنى عليها فيللا تشبه القصر.. قال أبو الشوارب العجوز لهاشم الحارس:

- أنا أبى كان بطلا في حرب المزرعة وقتل الكثير من الفرنسيين..

- شداد سيجن يريد أن يتزوج ابنة سالم.. وسالم رفض رغم أن شداد قدم له فلوسا كثيرة ولكن سالم طرده من البيت
- ابنته سوسن؟
- أنت أحمق.. لا طبعا ابنته "سهر"..
- ولماذا رفض؟
- تقول العرافة الفهامة العلامة "شهرزاد" إن القمر يحب "سهر" وسيرسل لها رجلا من بلاد الذهب يحملها له وهى
- والله.. وبعدين؟
- أنا لا أحكى قصة يا غبى.. أنا أحكى مأساة ستحدث لسالم ربما فكر شداد فى قتله.
- لماذا؟
- لأنه رفض أن يزوجه ابنته

الليل شقى وعفى.. الليل شياطين تمرح.. فى الجبل دق الباب علي ميثاء

- من بالباب؟
- أنا شداد

دخل شداد ومعه رجلان يحملان أقفاص حمام ودجاج

- أهلا وسهلا

لم تصدق أن هذا التاجر الثرى ابن المدينة يأتيها فى الليل فى مثل هذه الساعة..

- ليس عندى أرض ولا محاصيل أبيعها لك يا بيك
- أنا لا أريد أرضا ولا محاصيل.. أريد "سهر"

اندهشت.. ذهلت.. اختلطت كل الأوراق فى رأسها.. ترى من الذي أرسله لها.. وهل سيغلب شيطانه شيطانها وماذا ستفعل مع هذا الشر الذي صار تاجرا وإنسيا.. اسمه شداد قالت:

- ماذا تقول يا سيدي؟
- أريد "سهر" ابنة سالم
- لم أفهم كيف تريدها؟
- أقنعى أمها أن تزوجني إياها؛ فأنا أهواها تلك الصبية قلبي مال إليها فجأة، وتعودت أن ألبي رغبات قلبي ولا أجعله يتعذب خاصة من عشق امرأة.. عليك أن تقنعي أمها وأختها حتى لا أجد مانعا أو حاجزا وأعلم أنك ستقنعين سهر فقد قالوا لي إنك لك سحر عليها وتأثير لا يملكه أي فرد في القرية أو البشر.. اغوى نفسها ولفى رأسها سأعطيك أرضا ومالا لم تحلمي بهما من قبل.. اختاري ثلاثة دونم من أي قطعة أرض وسأبني لك عليها بيتا وازرعي الباقي وسأدفع لك مالا للزراعة والبناء..

قالت بخبث ودهاء وهي تتلعثم والعرض يلف رأسها وكاد أن يطيح بها ناحية الشر:

- ساحاول يا سيدى.. لكن...
- ليس هناك "لكن" أمام شداد.. إذا رفضت مساعدتي سأخطف "سهر" ولن يعرف مكانها جن ولا إنسان..

قالت في خوف وحذر:

- تخطف "سهر"؟
- نعم.. أخطفها ولم لا.. طرقت باب أبيها وطلبتها للزواج ولكنه رفض.. وسألتك العون وأنت لم تجيبي بنعم أو لا.. إذا ليس أمامي إلا أن أخطفها وكل شيء في العشق مباح..
- أنت يا سيدى لا تخطف أحدا.
- أنت ستساعدينى على خطفها؟
- وماذا سيقول عني أهل القرية؟

يضحك باستهزاء:

- سنقول خطفها القمر..
- ها ها ها ها

....

....

كاظم يجلس فى البالكون يقرأ فى كتاب "ثورة فى الثورة" لجيفارا

الجبل والقرية والظلام والقمر.. أمر مسلم به أن أترك قلبى كل مساء على سور البالكون بجوار زهورى لعل القمر يرسل للزهور الحياة الناضرة، ويرسل لى أنثى ممن تبقين من إناثه الراقية الحانية إن بقلبى عشق جدول يصب فى نهر الحب ماء عشق جديد كل يوم.. أمر مسلم به أن أشعر بالمر وقد طحننى الصبر واكتويت من كذب الإناث بالجمر.. أمر مسلم به أن أصنع من بقايا العمر مركب نوح لإنقاذ العاشقين بصدق لأن طوفان الكره والخداع بلغ منتهاه.. أمر مسلَّم به أن يكون الحب منى قريبا وبعيدا.. الحب أنت يا "سهر"..

عاد وأمسك كراسة "سهر" التى رسمت بها زهوراً وورودًا صغيرة، شمها.. ضمها إلى صدره وإلى قلبه.. لو أن لى قلبين لجعلت الأول لك تسكنينه فى الشتاء، والثانى فى الصيف.. لو أن لى قدرة الواصلين لطرت لك كل مساء فوق بساط الريح وعلى نافذتك ووضعت باقة ورد.. لو أن لى قدرة الكشف لعرفت من فى قلبك مر ومن كر ومن فر ومن جرحك بكلمة أو نظرة وسجنت الجميع فى مسبحة وأهديتها لك.. لو أن لى خاتم سليمان لأمرت الجن أن يحضرك لى الآن وألبستك ثوب "شهرزاد" فى لحظة الاشتهاء لو.. لو.. لو..

قام وفى يده اليسرى كراستها، وصب فنجان قهوة وعاد إلى البلكون. القمر يلقى ظلاله على الحقول.. عمرك الآن ٣٠ سنة.. أى الأقدار أتت بك إلى هنا.. الغربة أرسلتك إلى هنا فى الجبل بعيدًا عن المدينة ورفاق السوء لتتوقف عن الأحاديث

عن الشيوعين وتغيير النظام السورى ثم العربى.. لكنك جئت لتجد قلبك هنا يقع فى الحب..

....

....

خرجت "سهر" من الحمام.. حمام الليل قبل النوم.. واتجهت نحو السرير.. جلس العصفور فوق السرير يراقبها قالت له بمزح:

- لا تنظر لى هكذا بخاف من النظرة هيدى..

تمددت على السرير ولفت شعرها، انتشى وسكر العصفور من عطرها.. ضمته.. سمعت دقاً على باب الدار.. نظرت من شباك نافذتها من أعلى وجدت ميثاء العجوز الحيزبون.. "ترى لماذا تأتي هذه المرأة في مثل هذه الساعة من الليل؟؟.. أنا لا أستريح لها ولا لحضورها إلى منزلنا أبدا؟"

القهوة المرة والليل وأم "سهر"، والميثاء جالسة القرفصاء حول الحطب المشتعل للتدفئة

اشربى القهوة يا ميثاء..

- والله جايه أبارك لك سمعت أن بنتك "سهر" جاء لها السعد والهناء والمال أكوام أكوام وأراضى وعربات وفلوس بالأكوام وقصور فى دمشق الفيحاء.

- مانى فاهمة شئ يا ميثاء

- سمعت أن تقدم لها شداد أكبر التجار والله قلت أبواب السماء اتفتحت لها.. قصور وفلوس وسيارات وأراضى وخير ماله أول وماله آخر..

قالت الأم بدهاء:

- البنت لسه صغيرة ما تفكر فى الكلام هيدا

ضحكت ميثاء بخبث:

- بنتك فارت وخرطها الخراط ملكة جمال سبحان من صور.. لو اتجوزت تحمل..

- لا يا ميثاء أبوها بده يخليها تدرس وتصير دكتورة.
- أى دكتورة دى حتصير ملكة فى الشام مش الجبل..

آه لو وافقت أمها وأقنعتها لحصلت على قطعة أرض وبيت ومال من شداد.. آه لو رفضت سأساعده أن يخطفها ويهرب بها إلى الشام وسأشيع فى البلد أن القمر خطفها البعض سيصدق والبعض لا.. لايهم المهم المال والبيت والأرض.. آه لو ساعدتنى الملائكة والشياطين لنجحت فى الخطة.. آه لو السماء تغمض عينيها قليلا عنى لنجحت الخطة؟؟؟

قامت الأم سلمى فأحضرت بعض الزعتر والتفاح والخبز وأعطتهم لميثاء

- اتفضلى، كتر خيرك شكرا للزيارة إن شاء الله لما بيفرجها الله بعد كام سنة وتتزوج "سهر" بنعزمك وبعدين احنا بدنا نفرح الأول بسوسن

قبضت ميثاء على الأشياء بغيظ واتجهت للخارج محبطة كارهة أم "سهر" والجبل والناس وكل البشر.. كانت تتمنى أن تحقق خبطة العمر، لكن الشر قادم ولابد منه سوف أساعده على خطفها..

فزعت "شهرزاد" فى نومها.. حلمت أن طائرا ضخما قبيحا خطف "سهر"، و"سهر" تصرخ.. قامت "شهرزاد" وشربت شربة ماء:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قامت وارتدت ملابسها واتجهت إلى بيت "سهر".. دقت الباب، فتح الأب سالم:

- "شهرزاد" ماذا جرى؟
- لا شئ.. حاسة إنى تعبانة.. بدى أطمن على "سهر"..
- "سهر" نايمة فوق

"شهرزاد"

آه يا "سهر" لو تعلمين كم أحبك؟. يابنت روحى يامن أرى نفسى فيها . شاهدت الروح الأولى لك أمس منذ عهد إخناتون حاكم مصر..

آه يا "سهر".. ماذا أقول لك؟.. هل أفشى لك السر؟ أم أسكت؟.. هل أحذرك وأحكى لك مما جرى فى هذا الزمان؟.. لا أدرى

آه يا "سهر" العالم بدون جمالك قفر ووحشة.

سمعت "سهر" صوت شهرزاد؛ فقامت من على السرير منتفضة ووضعت الشال على كتفيها ولملمت شعرها ونزلت مسرعة إلى الضيافة:

- خالتى "شهرزاد"

قال الأب لـ "سهر" وهو مرتبك فى خجل:

- لسه ما نمتى يا "سهر"؟

ردت بأدب ونعس..

- جانى كابوس يابوى

قالت "شهرزاد":

- وأنا أيضاً جانى كابوس.. خفت عليك قمت من نومي وجيت أطمن.. قل الروح من أمر ربى..

ضمت "شهرزاد" "سهر" فى أحضانها..

قال الأب لـ"شهرزاد":

- ماذا رأيت فى الكابوس؟

لم ترد.. ابتسمت وسكتت وضمت "سهر" فى حضنها أكثر فأكثر.. تركها الأب وهى تحضن ابنته بين الدهشة والهاجس..

قالت "سهر":

- رأيتنى يا خالتى "شهرزاد" أطير فى السماء وحولى تحت الأرض نيران وطائر صغير يحملنى وأخاف أن أقع كنت أصرخ فى الحلم خفت من النار..

ضمتها "شهرزاد" أكثر..

- وماذا رأيت فى الكابوس يا خالتى؟

- اعمليلى كاسة متى..
- حاضر....بس احكى لى حكاية الطير الذى شاهدته فى الحلم

قالت شهرزاد: ***

الطير فى تفسير الأحلام لابن سيرين:

وقد يدل الطير على المسافر لمن رآه سقط عليه، وقد يدل على العمل لمن رآه على رأسه وعلى كتفه وفي حجره أو عنقه لقوله تعالى "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" أي عمله، فإن كان أبيض فهو صاف، وإن كان كدراً ملوناً فهو عمل مختلف غير صاف إلا أن يكون عنده امرأة حامل، فإن كان الطير ذكراً، فإنه غلام، وإن كان أنثى فهو بنت، فإن قصه عاش له وبقي عنده، وإن طار كان قليل البقاء. وأما الفرخ: هو الذي لا يطعم نفسه فهو يتفرخ على من حمله أو وجده أو أخذه إلا أن يكون عنده حمل فهو ولد، وكذلك كل صغير من الحيوان. وأما كبار الطير وسباعها: فدالة على الملوك والرؤساء وأهل الجاه والعلماء وأهل الكسب والغنى. وأما أكلة الجيف كالغراب والنسر والحدأة والرخم: فساق أو لصوص أو أصحاب شر. وأما طير الماء: هم أشراف قد نالوا الرياسة من ناحيتين وتصرفوا بين سلطانين سلطان الماء وسلطان الهواء، وربما دلت على رجال السفر في البر والبحر، وإذا صوتت كانت نوائح وبواكي. وأما ما يغني من الطير أو ينوح: فأصحاب غناء ونوح ذكراً كان الطائر أو أنثى. وأما ما صغر من الطير كالعصافير والقنابر والبلابل: فإنهم غلمان صغار، وجماعة الطير لمن ملكها أو أصابها أموال ودنانير وسلطان ولا سيما إن كان يرعاها أو يعلفها أو يكلفها..

- مافهمت.
- سيأتيك رزق كبير وتسافرين إلى بلاد بعيدة

كاظم فى البالكون ينظر للجبل والليل والبيوت هناك بيت "سهر"

لا أحب أن أظل طوال الوقت كالمسيح أعفو عن من صفعنى تورم الخد والقلب والروح

آه لو تزوجتك يا "سهر" لن أسجنك بل أسمح لك بالحضور والغياب، أسمح لك بالجنون على الورق وفى الحياة، أسمح لك بالسهر مع النساء، وأسمح لك بعشق القمر لا الرجال، وأسمح لك بالدلال ومداعبتى بالصمت حينا وبالهاتف حينا وبالرسائل حينا وبالحضور حينا، أسمح لك بالسباحة والسياحة.. لا أسمح لك أن تكونى مثل النساء، ولا أسمح لك أن تشكي فى لحظة أنى أحب غيرك لأنى لست مثل البشر الأغبياء.. عن رغبة أقول أحبك قبل العيد وفى العيد وبعده وقبل الأكل وبعد الأكل وقبل الكتابة وبعد الكتابة.. عن رغبة بين العشق والوجد أعترف أنا بحبك منحرف عن الطريق المستقيم عندما أصلى أجد صورتك فى الذهن تحت أهدابى وطناً للعاشقين أقول باسم الله.. الحب شقاء.. عن رغبة أنا فى لهفة وشهوة لك أنا فيضان حريق وأنا الغيور عليك والعبور إليك وأنا وطن بلا عنوان.

آه يا "سهر".. الحنان والجنون لقد اكتسبت من حبك الصبر وعشق البحر والانتظار وتحمل الجنون، وأنت نفحة من السماء لى كى أكون.. لقد اكتسبت من حبك فهم الاحتراق فى الحب أصير بخوراً، دخاناً.. وحين أهدأ أصير وردة وسحابا ومطراً وزهور ريحان..

آه يا "سهر".. يا أميرة أحلامى التى أنتظرها فى الحلم كل مساء تحملين فى يدك وردة وتدقين بابى وترتدين معطفك الأبيض أخلعه عن أكتافك أجدك عارية فأحضنك ليالى وأخاف أن أنام وأنت فى أحضانى فتفوتنى لحظة عشق معك، وأنسى أسماء الأيام السبت الأحد الخميس الثلاثاء وتاريخ الشهور والفصول وأرقام الشهور فأنا بك مفتون..

دق الباب دقة.. دقتين.. ثلاثا.. قال كاظم لنفسه:

""سهر" معقول أن تجئ فى مثل هذه الساعة من الليل؟.. هل استجابت السماء لى وأرسلتها لى فى مثل هذه الساعة؟..

فتح الباب على مهل وقلبه يدق ألف دقة.. صاح بدهشة هامسة: "وردة"

وردة من أجمل بنات الجبل ابنة المختار أخت راغب، تلميذته فى المدرسة.. وردة يخاف أن يقترب منها الشباب مع أنها إحدى أشهر الجميلات، والسبب أن أباها المختار، ولو علم المختار أنها ذهبت لكاظم انقلب الليل نهار وتم عقاب الأسرة كلها.. هى زميلة "سهر" فى الفصل فى الظاهر أصدقاء لكن "وردة" لا تحب "سهر".. وردة على علاقة طيبة بخالتها جمال.. جمال أنثى جميلة وتسكن فى دمشق ولها بيت هنا فى الجبل، وكلما أتت عاشت معها وردة لأنها تفهم الحياة دون تعقيد تحب السفر والحفلات.. تحب الرقص؛ لذلك هى المثل الأعلى لوردة..

- وردة ما الذى أتى بك إلى بيتى؟. لو أبوك رآك عندى هنا سيقتلنى
- لن يقتلك.. سيزوجنى إياك يا أستاذ
- يا وردة أنت لسه صغيرة
- أنا صرت كبيرة.. الدورة بتجينى من ثلاث سنين وأنا بنت ١٢ يا أستاذ
- كيف تحدثينى هكذا يا بنت.. اسمعى أنا رجل لا أريد مشاكل فى حياتى.. تعبت من الحياة والمشاكل أرجوك يا وردة أنت لا تعرفين معنى حضورك لى هنا هذا خطر!! خطر.. أخوك أو أبوك إذا شموا خبرا سأضيع سيدمروننى يقتلوننى يذبحانى إنهم لن يفهموا إلا أننى رجل عاطل بطال.

أمسكت يده برفق، وهو يرتعش وعيناها تتفجر شبقًا وشهوة بنت ١٥ التى يحمر وجهها والدم يكاد يفط ينط، وقد وضعت مكياجا جميلا وخلعت الطرحة فأسدلت شعرها الناعم على كتفيها كأنه شموع فى ليلة مظلمة تضيء بالوهج قالت:

- أستاذ حموت عليك

ابتعد عنها.. قاوم الرغبة التى تسرى فى جسده من لمسة يدها ومن انتصابه ومن خوف دفين أين يرتكب حماقة ثمنها حياته.. نعم ليس لحياته ثمن عند الحكومة ولكنه يحلم أن يموت من أجل قضية تخص الوطن.. قال والحروف ترتعش على شفتيه:

- أبوس إيدك امشى.. امشى يا وردة

خلعت حذاءها وسارت تختال فى الغرفة، وقد ارتدت ثوبا يظهر بياض ذراعيها العاريين اللذين يتوهجان كأنهما قمر فى شكل ذراع أنثى.. قالت:

- سأجلس معك ساعة واحدة فقط

راح يمسك الإيشارب والطرحة وحذاءها، ويجمعهم واتجه نحوها متوسلا يكاد الدم ينفجر من وجهه

- ولا ثانية.. أرجوكي أبوس إيدك يا وردة امشى

قبل يدها عدة مرات متتالية بسرعة وهو يرتجف.. قالت وهي منتشية من أنفاسه وشفتاه تلمسان كفيها.. وودت لو كانت على شفتيها:

- بوس كمان يا أستاذ فى أى مكان وكل مكان أنا قدامك.. أهه يلا بوس

ارتبك كاظم أكثر، وابتعد عنها تاركا يدها قائلا:

- يا بنت أرجوكي أرجوكي أخرجى أخرجى

وأخذ يدفعها وهى تتوسل إليه..

- بدى ساعة معاك بس أستاذ كاظم

دفعها بقوة وأغلق الباب ووقف يلهث خلف الباب وهى تدق عليه:

- أرجوك افتح يا أستاذ ساعة واحدة بس أرجوك ما حخبر أمى ولا حدا..

كاد كاظم أن ينهار فجلس على الأرض وظهره مستند على باب البيت.. بكى دمعتين الدمعة الأولى فرح.. الدمعة الثانية خوف

فى الطريق أثناء عودة وردة، لمحها أخوها راغب الذى كان يسير مع سامى أخو "سهر".. ترك سامى، وذهب إليها غاضبا:

- وردة وين كنت هسه؟ معقول أنت خارج البيت هسه احنا بعد صلاة العشا..؟؟

ردت ببرود وإحباط شديد ويأس قائلة:

- كنت عند واحدة زميلتى بذاكر.. بلاش أذاكر
- ما تتأخرين مرة تانية الساعة ٨ شو الناس تقول.. أنا ما كان بدى تتعلمى ولا توجعين راسنا

عادت وردة إلى البيت منكسرة.. لقد ذهبت وكلها أمل أن تقضى ساعة ساعتين معه لقد استعدت واستحمت ووضعت أحلى عطورها على ثديها وجسدها، حتى إذا خلعت ملابسها فى بيت الأستاذ كاظم، شم رائحة العطر الذى يخبله فى "سهر"، لكنه لم يشمها لم يحضنها.. لم يمس شفتيها.. لم يقبض على ثديها ليسخن ليكبر ليكون مثل صهيل الخيل فى يديه يصيح وينفر.. انكفأت على السرير تبكى.. نهرتها أمها:

- بطلى دلع مادام مافى حد زعلك ولاضربك ليش بتبكى بطلى دلع البنات هذا..

قال قلب وردة:

(الحب يا أمى كلمة ليست فى قاموسك أحيانا تبيع النساء قلوبهن له بدلا من أن تمنحه للأزواج.. لأن الأزواج غالباً ليسوا عشاقا، ولا أحبابا.. بل أزواج)

"أم راغب ووردة"

قسمة ونصيب.. أم راغب تزوجها المختار بسام رغماً عن أنف أبيها.. لم تعرف معنى الحب ولكن تسمع عنه من النساء فتدعى أنها تعرفه وتعرف كل شيء ودوما يحمر وجهها خجلا عند الحديث عنه كأنه من المحرمات وعندما تشاهده فى التليفزيون فى مشهد سينمائى تشعر بغياب عقلها وجمود قلبها كأنها خطفت إلى سيبريا وجمدت هناك..

....

....

"كاظم"

آه ياسهر

نام كاظم على الكنبة مستسلما

حتى ولو أحببت ألف رجلا غيرى حتى ولو ادعيتِ وافتريتِ عليَّ.. حتى ولو نسيتِ عنوانى وأرقام هواتفى ورائحة عطرى ولون زهورى.. حتى ولو قيدونى بالسلاسل ووضعونى خلف القضبان.. حتى ولو تطايرت بنا المسافات أنا فى مكان وأنت فى مكان وبعثرت أيامنا الذكريات.. حتى ولو انطفأت فى قلبك نيران شوقى.. حتى ولو فعلت ما فعلت فإنى أحبك.

فى بيت سهر

قامت سلمى أم "سهر" بإطلاق البخور فى البيت لمنع الحاسدين لـ"سهر".. (حسد يحسد حاسدا).. ومن شر حاسد إذا حسد.. ترى هل "سهر" محسودة؟؟ بالتأكيد ألف ألف أنثى تحسدها.. تلك التى تسرق قلوب الرجال بعطرها.. تلك التى ترافقها العصافير فى أسراب فوقها حين تسير..

البخور و"شهرزاد". أخبرت "شهرزاد" بعض الرجال والنساء حين قرأت كفوفهم أنهم سيأتيهم حظ عظيم وأتاهم. سموها "شهرزاد" وكلما أمسكت كف شخص ووجدت أن أيامه سوداء قالت إنها مريضة ونظرها تعبان وهربت بأى حجة من البوح له بما تراه من طالع في كفه كى تحافظ على اسمها وسط الناس. الناس ولاد كلب لا ترحم إذا انقلبوا عليها

"كاظم"

أى الليالى تأتى بنا وتروح يا نفحة الروح.. آه.. آه.. آه.. تنهَّد كاظم وهو يقرأ رواية زوربا اليونانى، وشعر بأن القمر حوله غيوم وسحب.. إذا كان حال القمر هكذا إذا "سهر" ليست على ما يرام.. دار فى غرفة نومه خرج للبالكون.. آه لو يخبره القمر.. سهر تلاحق خياله وهو يدور فى الحجرة ترك الرواية وكوب مشروب "المتى"

أستهدف الوصول إلى قلوب وحناجر الأطفال.. أستهدف الوصول إلى نهد امرأة ينادينى كلما شاهد اسمى ويريدنى أن أداعبه كل صباح ومساء.. أستهدف الوصول إلى تلال النقاء كي أحرر العشق من أيدى السفهاء.. أستهدف الوصول إلى روح التوراة والإنجيل والقرآن.. أستهدف الوصول إلى سريرك كل مساء دون أن يرانى أحد حينما يعز اللقاء.. أستهدف الوصول إلى الهجرة كل مساء على الحدود بين صرتك وحلماتك.. أستهدف الوصول إليك..

ما أكثر أصوات العشاق المزيفة فى كل الأجناس.. ما أكثر أنفاس الهمس الصادقة.. ما أكثر النساء الخادمات الوصيفات اللاتي يملكن نفسية العبيد ويدعين أنهن ملكات.. ما أكثر العشاق أنا وابن الرومى وجبران ونزار، وعاشق لم أعرف اسمه لكننى أسمع دقات قلبه فى المساء تحوم حول النساء أنينا.. ما أكثر النساء روعة تلك التى لم تلمس خدى وأحتضنها بعد وأضع الشمس على رأسها وترقد فوق سريرى قمرا ينير ليالي العمر المعتمة وتمحو من ذاكرتى أسماء نساء عرفتهن أو أسماء نساء أشفق قلبى عليهن من كثرة أوجاعهن وحرمانهن..

لمح وهو يقف في الشرفة من بعيد شبح راغب ومعه رجل يحمل بندقية على كتفه.. دارت به الأرض دورة.. دورتين.. ترى هل أخبره أحد بأن وردة أتت إليه.. وجاء ومعه هذا الشخص الطويل العريض الذي يحمل على كتفه هذا السلاح.. نعم سيقتلونني.. ويدفنونني هنا.. وربما قالوا لأهل القرية وأهل الجبل لقد اختفى الأستاذ.. رحل.. أو هرب.. أو اعتقل.. أليس أمرا غريبا أن يدفع الإنسان حياته ثمنا لنزوة فتاة طائشة.. نزوة لم تكتمل.. لم تتحقق.. أليس الأمر مهزلة؟؟

اقتربت خطوات راغب ورفيقه الرجل الغامض نحو بيت كاظم.. ترى ماذا قالت وردة لأخيها؟ وماذا قالت لأبيها؟ وماذا قالت لأمها؟ وماذا قالت لأصدقائها؟ وماذا.. وماذا..؟ ولماذا أتى ومعه هذا الرجل فقط.. ربما نصحه أبوه بأن يستر الفضيحة ويقتلني في صمت.. ربما أخبرت وردة أخاها فقط وادعت أني أغويتها، ولذلك قرر أخوها مع صديق له أن يقتلاني..

اقتربت خطوات راغب ورفيقه أكثر.. دقات قلب كاظم تزداد كأنها عجلات قطار سريع يطوي المسافات بجنون.. نعم جنون.. العشق جنون.. النزوة جنون.. الجنس جنون.. الحماقة أننا لا نعرف هل الجنون حلال أم حرام.. صواب أم خطأ.. ولكنه يسكننا رغم ادعائنا الحكمة

اقتربت خطوات راغب أكثر وأكثر.. يكاد قلب كاظم أن يتوقف، أو توقف.. أو انخلع.. لم يتبق منه إلا دقات.. ستموت يا كاظم ضحية غباء النساء في لحظة بلهاء.. كل ثقافتك وفلسفتك وكتبك ستنتهي برصاصة ثمنها خمس ليرات.. الرصاص دائما ينتصر على الثقافة كما انتصر السيف على المتنبي..

ترى ماذا قالت له؟. هل سيعطيني فرصة أن أشرح له ما حدث وهل سيصدقني؟ وهل سيقتنع بما أقول.. آه لو اقتنع سأحمل ملابسي وأرحل إلى الشام.. إلى دمشق الفيحاء.. ولكن كيف أرحل وقلبي هنا مع سهر.. ولكن أين سأترك قلبي

لها وكيف ستعرف سهر.. سيأتي مدرس لغة عربية جديد ربما عشقها مثلي وربما نسيتني..

آه يا سهر..

اقتربت خطوات راغب ورفيقه من بيت كاظم أكثر، وفجأة ظهرت سيارة أوتومبيل وقفت أمامهما، ووقفا يتحدثان مع سائقها.. آه سيحملان جثتي في هذه السيارة؛ ليلقيا بي إلى ذئاب الجبل أو إلى الصقور، وسأصبح صورة وخبراً فى صفحة الحوادث بدلا من صفحة السياسة والوزارة وحزب جديد غير حزب البعث..

نزل قائد السيارة منها.. أشعل سيجارة، وعزم على راغب وزميله وأخذوا جميعا يدخنون السجائر.. ثم ركبوا السيارة ثم ضحكوا..

في هذه اللحظة ضحك كاظم وأدرك أن الجو أمان، وانطلقت السيارة بهم..

الفصل الحادى عشر

مصر أم الدنيا أم أبوها؟

فتحى رضوان يبحث عن سؤال: لماذا سميت مصر أم الدنيا؟.. مع أن كل حياتها وتاريخها العسكرى محتشد بالهزائم المنكرة وفتش فى الكتب ووجدها عند ابن كثير:

مصر سميت "أم الدنيا" نسبة للسيدة هاجر زوجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث هى من مصر، وولد سيدنا إبراهيم فى العراق وانتقل وعاش بين مصر والشام، وتزوَّج السيدة هاجر وهى كانت من مصر وبعدها انتقل للجزيرة العربية وتم تعمير الجزيرة العربية التى لم يسكن بها بشر من قبل وتم رفع قواعد البيت العتيق لهذا سميت مصر أم الدنيا حيث أن السيدة هاجر هى أم أنبياء الله وأم سيدنا إسماعيل وأم العرب وهى مصرية، وكان هذا تكريماً للسيدة هاجر.. مصر أم الدنيا سبب تاريخى وهذا تكريم لمصر ممثلا فى السيدة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم وأم سيدنا إسماعيل أبو العرب والأنبياء والدليل على هذا حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أهل مصر، وهو حديث صحيح فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "ستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا" قال ابن كثير رحمه الله: والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام: أمه هاجر القبطية، وهو الذبيح على الصحيح وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوال إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه مارية القبطية من سنى كورة أنصنا وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكرامًا لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفسير ابن كثير)

وما يؤكد هذا دعاء سيدنا نوح لحفيده مصرائيم بن بيصر بن حام والذى سميت مصر نسبة إلى اسمه حيث الجنس الحامى هو أول من سكن مصر بعد طوفان سيدنا نوح ودعا لهم نوح بهذا الدعاء وقولة أن مصر أم البلاد..

كان هم فتحي رضوان الأول أن يعرف هل اسم مصر مذكر أم مؤنث، وعندما عرف أنه اسم مذكر شعر بخيبة الأمل وبخيبة المصريين في عقولهم لأنهم يظنون أن مصر أنثى.. كان يريد أن يعرف هل مصر حقيقة أم وهم.. وبما أنها أم الدنيا وحالها هكذا؛ فما حال الدول العربية الأخرى فكرا وثقافة؟.. بل لماذا مصر بالذات تجمع كل هذه التناقضات البشرية، وغرائب الأمور والتصرفات؟ هل موقعها الجغرافي؟.. هل تميزها النسبي يرجع إلى كثرة من احتلوها؟ فهي الدولة الوحيدة في العالم التي احتلت سبعة آلاف عام وتحررت منذ خمسين عاما فقط.. ولكن هل تحررت بالفعل أم أنه تحرر على الورق؟ وما معنى الحرية؟.. وما معنى الوطن؟ وما معنى المواطن؟.. لماذا لم نتعلم مفهوم كلمة مواطن ومفهوم كلمة مواطنة؟.. غاب عنا كل هذا..

أدرك فتحي رضوان أننا نعيش في عالم كاذب عندما اكتشف في مذكرات محمد فريد أن عباس حلمي الأول حاكم مصر هو الذي اقترح على مصطفى كامل ومحمد فريد إنشاء حزب جديد يسمى الحزب الوطني في عام ١٩٣٢ حتى يحاربوا الإنجليز، وكان عباس حلمي يكره الإنجليز ويدفع إلى مصطفى كامل راتبا شهريا في السر (كما ذكر محمد فريد في مذكراته) حتى يعيش حياة كريمة.. وطلب مصطفى كامل من محمد فريد أن يتوسط له عند الخديو عباس حلمي ليزيد نفحاته ومكرماته له لأن الزعامة تحتاج إلى بعض المصاريف.. ألم يكتبوا لنا في كتب التاريخ أن الحزب الوطني هو فكرة مصطفى كامل ومحمد فريد؟.. ألم يكتبوا لنا كلاما كذباً في كذب؟.. ترى من الذي يكتب كتب التاريخ في المدارس ويزيفها؟.. هل هو وزير التعليم؟.. هل هو رئيس الوزراء؟.. هل هو رئيس الجمهورية؟.. ثمة شخص ما مسئول لكنه حقير حقارة لم تشهد الإنسانية مثلها فهذا الحقير الذي يزيف الوقائع والأحداث ويتبول في عقول الأجيال بجراثيم ومياه بولية فكرية عفنة فنخرج من المدارس أغبياء نجهل حقيقة تاريخنا وحقيقة الأشياء..

إن عذاب فتحي رضوان هو عذاب اللؤلؤ داخل المحار؛ فالمحار شكله قبيح مثل المجتمع، واللؤلؤة ناصعة البياض والضوء في قلب هذا القبح..

كان فتحي رضوان يسأل نفسه دوما: لماذا النساء في حياتي ضرورة كالماء والهواء وخطب عبدالناصر والميثاق.. ومقالات هيكل يوم الجمعة؟.. لماذا يرتشف الوجود والعدم من سارتر والعبث من ألبير كامى وصامويل بيكيت؟.. لماذا يبحث عن كل كتب كولين ويلسون؟.. لماذا يبحث عن الجاحظ ويعشق المتنبي ونهود ناهد حجازي وفيفيان وماجدة.. والمظاهرات التي يخرج بها الطلبة من أجل فلسطين والجزائر واليمن؟

فتحي رضوان

ضحية الزمان والمكان؛ فمصر زمان ومكان: زمان مستتر بالتماثيل والآثار، وفي الداخل انهيار وعفن معتق يسري في النفوس قبل الشوارع.. منذ سبعة آلاف سنة كان الشادوف يسقي الأرض الزراعية وحتى الآن نفس الشادوف.. ترى هل أنت يا فتحي جزء من عقل هذا الوطن المعطل الثابت على التخلف؟.. كان يفكر في الهجرة إلى باريس والتنازل عن الجنسية المصرية ربما إذا تنازل عنها تحرر من الهم الذي يسكنه.. هم اسمه (عشق مصر) ولكنه يظن أن الإنسان مسيَّر وليس مخيَّرا.. ربما ألقت به المقادير في تلك البقعة من العالم المتخلفة ليكون شاهدا وشهيدا.. صليبا ومصلوبا.. مؤذنا ومصلٍ.. مؤمنا بالنور وكافرا بالتخلف.. وكلما استنشق اليود من بحر الإسكندرية حلم بالسفر إلى سواحل مارسيليا فى فرنسا، وكان يفكر دوما فى أن ينتقم من بحر الإسكندرية بالسباحة فيه كل عام مرة كي يتبول فيه..

الأوطان أحلام وأكفان وأماكن وهمية نصنعها كي يكون لنا جواز سفر في الروح قبل المدن.. ولأول مرة يشعر فتحي رضوان أن الهوية العربية عار عندما حاول أن يقابل قناصلة الدول الأجنبية في الإسكندرية ليطلب منهم فيزا للهجرة.. لأول مرة يسمع كلمة (عربي.. نو) خدعوني فقالوا إن العروبة وسام وتاج على رؤوسنا وقالوا

إن الغرب يتآمر علينا ونحن في حقيقة الأمر بالنسبة لهم كوطن عربي غطاء بلاعة تحته أنبوبة نفط مهمة لهم، وأيضا ماسورة صرف صحي مليئة بالصراصير والحشرات الغريبة التي يجب التخلص منها برش المبيدات عليها أو سحقها تحت الأقدام..

ترى لماذا نحن محاصرون بالخديعة من أول كتب المدرسة إلى الإذاعات والتليفزيون إلى الصحف إلى شوارب الرجال التي تحمل حناجر ذات صوت أجش وتحمل عار الهزيمة في أسرة المساء مع النساء؟..

كان فتحي رضوان نموذجاً لملايين الشباب العربي والمصري الضائع الذين تطير أحلامهم في السماء كل صباح وترحل في المساء مع السفن المهاجرة إلى أميركا والغرب..

"كاظم"

لو أننى أقدر لخطفتك الليلة ومن شفتيك أخذت أسكر.. لو أننى أقدر لتحولت إلى عصفور وسكنت بين نهديك دفئا أتفجر.. لو أننى أقدر لوضعت أنفاسى في أذنيك قرطا من اللؤلؤ وقلبى لمن يقترب منه خنجر.. لو أننى أقدر لتزوجتك الليلة أصعد بك أهبط وفى الصباح تلدين قافلة رجال تحرر العبيد فى هواك ومدن الرجال الأسرى من عشقك تتحرر.

قالت "شهرزاد" إلى أم "سهر"

- ديرى بالك على بنتك محسودة من كام عين.. ؟؟

خرجت الأم. نظرت "سهر" إلى شهرزاد:

- ماذا بك يا خالتى؟
- غدا سأقول لك أشياء هامة بالنهار.. الآن نامى واستريحى يا صغيرتى.. سأخبرك غدا بما رأيت

دخلت شهرزاد معها غرفة النوم، وأخذت تغطيها وتلعب فى شعرها كالأطفال و"سهر" مستسلمة فى هدوء وأغلقت عليها الباب وأطفأت مصباح الكهرباء.

- تصبحين على خير يا "سهر"..

أشعل كاظم مصباح الكهرباء فى غرفته.. شرب "المتى".. "المتى" مشروب أعشاب كان يشربه جيفارا.. ويشربه أهل الجبل هناك..

وردة.. كيف ستواجه الأستاذ غدا فى المدرسة؟.. ماذا ستقول له؟.. كيف ستضع عينيها فى عينيه؟.. ماذا سيقول عنى لنفسه؟ ماذا سيقول لى؟.. الليل طويل طويل طويل يا وردة.. لماذا الجبل قاس والحب قاس والحياة قاسية هنا؟؟.. لماذا العشق يدوخنا؟ لماذا لا يحبنى ويحب "سهر"؟؟

المختار بسام المختار(العمدة) يعرف أن الجبل لا يحب إلا القوة والثراء والمال.. كل أهل الجبل يدعون البطولة فى مقاومة الفرنسيس.. ترى من البطل؟ ومن الواهم؟ وعادة بعد الثورة ينسب كل فرد لنفسه أنه قام بدور ما وبطولة ما.. الذين شاركوا والذين شاهدوا.. ومن يملك الحق في الحكم على الأشياء.. التاريخ.. ومن الذي يكتب التاريخ؟ التاريخ يكتبه بعض الكتبة لصالح الحكام أو التجار وقلما يهب شخص قلمه ونفسه ووقته لكتابة التاريخ مثلما فعل الجبرتي والمقريظي وابن إياس والسهروردي..

من الحقيقى فينا ومن الكاذب؟؟

الجبل غبى وصبى.. انهار الجبل أمام النبى موسى عندما شاهد الله..

كاظم قرر أن ينام وأغلق الشباك جيدا.. من المفترض ان نكون حبيبين وعاشقين وزوجين.. من المفترض أن نكون وردتين عصفورين بستانين من المفترض أن نكون شمعتين قنديلين.. من المفترض أن نكون فى جسد واحد بروح واحدة لا فى جسدين وروحين..

الصباح

المدرسة والطريق الطويل.. من ممر بيته خرج كاظم.. من ممر بيتها هبطت "سهر" والعصافير فوقها... من ممر حارة وردة خرجت وردة.. الكل يتجه إلى المدرسة..

رغم أنى برئ فى عشقك يا "سهر" تحاصرنى العذارى من كل اتجاه، وأنا ليس لى إلا العشق حجاب وليس بينى وبين الله حجاب.. فأكثر من الدعاء إنى أطمع فى الكوثر وفى جنة رضوان وفى "سهر"

وقالت وردة.. يا ربى ساعدنى بأن تزوج "سهر" من رجل من بلاد الذهب يسافر بها ويرحل وتترك لى كاظم أستاذ اللغة العربية.. يا ربى ساعدنى أن أختلى به.. أن يحبنى.. أن يقترب منى.. أن أكون له..

قالت "سهر".. لقد أحبنى القدر وأرسل لى العصفور إشارة.. كل شئ بقدر أحب كاظم.. لكن هل سيساعدنى القدر؟؟

لم ينظر كاظم طوال الدرس إلى عين وردة.. تجاهلها تماما.. سأل من على يمينها ومن على يسارها، وتجاهلها

أما "سهر" فقد كانت شاردة لماذا سألتها "شهرزاد" أن تمر عليها بعد المدرسة وستقول لها كلاما سرا ومهما.. أى سر ستقوله؟.. عمن: عن القمر؟ عن أبيها؟ عن أمها؟ عن الجيران؟

لاحظ كاظم أن "سهر" ليست معه؛ فتركها حالمة شاردة ظنا منه أنها شاردة فى التفكير فيه وعشقه.. العصفور يقف على النافذه ينظر له كاظم بنظرة غريبة عجيبة؟؟

حاولت وردة أن تتحرش به، وأن تحكى معه لكن تهرب بهدوء ونعومة.. وردة كانت راضية عن موقف كاظم لم يسألها ولم يسأل "سهر".. الظلم على الجميع عدل..

جلس كاظم فى مكتبه فى غرفة المدرسين يشرب "المتى".. دخلت الحجرة وردة:

- أستاذ كاظم
- اسمعى وردة أرجوك لا تحكى معى خارج الفصل ولا الشارع ولا البيت ولا أى مكان..

قالت بتحد:

- ستحكى معى أستاذ
- أنت مجنونة.
- سترى أستاذ ستحكى معى..
- لا يمكن...............

هذه البنت عقلها فارغ.. كثير من الطلاب والطالبات..لا يفهمون أى شئ ولا يفعلون شيئا ذا بال.. حقائب الأولاد فارغة لا يوجد بها غير الكراسات وأدوات المدرسة.. أخاف من أثرياء القرية وأقاتل الملل والوقت وخاصة فى الليل..

فى منتصف اليوم الدراسى جاء راغب أخو وردة للمدرسة.. طلب فى غرفة مدير المدرسة الأستاذ كاظم.. ارتبك المدير وذهب إلى كاظم فى الفصل وسأله:

- تعال شوف راغب ابن المختار ليش عاوزك؟

ترى ماذا قالت وردة لأبيها وأخيها التلميذة أو التلميذ يكذب كل يوم عن عدم قدرته على المذاكرة، ومن مدرس إلى مدرس ويوم بعد يوم يصير كذابا ويخلق حكايات ومبررات

فى غرفة مدير المدرسة دخل كاظم وجد راغب مبتسما فأصابته الدهشة!!.. قام راغب مبتسما صافحه..

- أهلا أستاذ كاظم إحنا عايزينك تيجى عندنا البيت من شان أختى وردة..
- شو فيه شو قالت لك؟

ضحك راغب:

- قالت إنها محتاجة دروس تقوية فى اللغة العربية.
- وأنا شو لى فى هذا؟
- أنت أستاذ كبير.
- فى مدرسين أحسن منى.
- إحنا عاوزينك أنت استاذ.. كل يوم تشرفنا الساعة ٤ بعد الظهر.. تشرب متى مع الوالد وتشوف وردة شوى؟

قال مدير المدرسة:

- المدرسة كلها تحت أمر الآنسة وردة.. أقصد سيدى المختار

الآباء يتواطئون مع كذب أولادهم ليبررون أخطاءهم، والأبناء يقضون وقتهم فى التبريرات والسيناريوهات والكذب للآباء والمدرسة والمدرسين..

خرج راغب من المدرسة.. شاط كاظم غضبا واتجه ناحية مدير المدرسة صارخا:

- أنا لن أعطى درسا خاصا لهذه البنت.

- كل المدرسين يتمنون أن يعطوها درسا أو يدخلون بيت المختار.
- أتوسل إليك أعطهم فرصتهم.. أنا لا أريد هذه الفرصة..
- أنت لا تعرف من هو المختار ؟
- لا أود القيام بهذا؟
- افهمنى جيدا.. البنت طلبتك لأنك مدرس متميز.. والله لو طلبتنى سأذهب إليها أنا..
- جميل اذهب أنت إليها..
- لا تلاوعنى ولا تتعب قلبى.. البنت تريدك أنت حاول أن تفهم.. لا أنا ولا أنت ولا مدير التربية والتعليم.. اسمع منى حكمة لا تلتفت للوراء فأمامك ضوء..

إن المجتمعات تبنى على الكذب.. بدءًا من المدرسة والطالب والمدرس.. الكل يمارس هذا بجدارة.. كانت وردة تستعد لاستقبالة فى البيت.. ارتدت أحلى ثيابها وكوت شعرها.. ووضعت منديلا جميلا يغطى شعرها حتى لا يلمحها أبوها.. ووضعت عطرا، وكحلا فى عينيها..

الساعة الرابعة بعد الظهر دخل إلى بيت وردة، وريقه قد جف، وتصبب عرقا.. رحب به المختار بصوته الأجش، ودعاه إلى غرفة خاصة للدرس جهزت له (المتى).. جلس كاظم يتأمل الجدران. بعد دقائق دخلت، أغلقت الباب.. خلعت الإيشارب.. أسدل شعر وردة على كتفيها، كأنه مظاهرة حرير يجندل الرجال.. نظر إليها كاظم.. نظر إلى الروج الأحمر فى شفتيها والكحل الذى يعانق رموشها..

- هاتى الكراسة.
- هات قلبك لى يا أستاذ.
- افتحى الكراسة.
- افتح روحك المغلقة سيدى؟
- الجملة الاسمية والفعلية كل منهما تتكون من جزءين..

- الحب يا سيدى كم جزءين رجل وامرأة..
- الليل جميل جملة اسمية.
- وردة كاظم جملة اسمية.
- يزحف الليل على المدينة.. جملة فعلية.
- تحب وردة كاظم.. جملة فعلية.
- الجملة الاسمية والفعلية وهناك شبه جملة
- حب وردة حقيقة.. وحب "سهر" شبه حب..

غضب كاظم وهب واقفا:

- مستحيل هذا الهراء
- نعم حبها لك هراء.. هى تطاردك بنظراتها بعينيها بأنفاسها.. نعلم كلنا هذا .
- من كلنا؟
- كل المدرسة.
- أنت تخرفين كل المدرسة تعلم هذا أنت فتاة مراهقة صغيرة حمقاء.
- أنا أحبك أستاذ كاظم.
- مستحيل .

فتح الباب المختار ودخل:

- كيفك أستاذ شو أخبار وردة ؟
- والله يا أبى بدأت أفهم اللغة العربية الأستاذ كاظم من أكفأ المدرسين للغة العربية فى الشام..

ضحك المختار

- هيك تمام عن إذنك أستاذ دير بالك عليها..

خرج المختار وأغلق الباب.. وضعت يديها على ذقنها وجلست تركز فى عينيه.. حاولت أن تمد قدميها تحت الطاولة حتى تلمس قدميه.. انتصب قائما صائحا:

- وردة أرجوك.. أرجوك.. إذا أردت أن تأخذى درسا ابتعدى عن هذه الحركات..

قالت وهى تغنج:

- حاضر أستاذ..

قام وهو يتصبب عرقا..

لا أحد ينتظرنى فى البيت لا أحد أشترى له زهورا.. لا أحد يشرب القهوة معى أو يغطينى فى المساء وأنا أرفس الغطاء.. لا أحد يبتسم لى فى الصباح.. لا أحد يسمع الأغانى معى ويلملم أوراقى وأحلامى وأحشائى وجحيمى وأشجار حنانى ويكوى سروالى ويغير مفرش وسادتى ويجهز مصحفى ونسكافيه باللبن وحبرى وأوراقى وثيابى.. لا أحد يجمع الحصاة التى يلقيها البلهاء على كتاباتى.. لا أحد.. لا أحد.. ليس لى إلا الواحد الأحد

الساعة الرابعة بعد الظهر

سامى أخو "سهر" يجلس على المقهى التى تطل على الجبل.. يشرب الشاى والشسيشة.. يحلم بأن يكون فى أمريكا ويرتدى قبعة، ويركب سيارة أمريكية ويتزوج من حسناء أمريكية.. كان يحلم بالكثير، وأن يتحدث باللغة الإنجليزية بطلاقة.. دخل المقهى فجأة التاجر شداد وراغب ابن المختار، واتجها إلى سامى..

- السلام عليكم..
- وعليكم السلام
- نشرب معاك كاسة شاى..
- اتفضلوا.
- هات شاى يا معلم.

نظر إلى سامى، التاجر شداد وقال:

- شو يا رجال.. لازم تشوف لك شغلة تفيدك.. أنت مو شوى..؟

- مو فاهم؟

ضحك راغب قائلا:

- المعلم شداد قصدى رضوان بك.. يريد أن يستفيد من جهودك.. تشتغل معاه.
- أنا سوف أسافر أمريكا

ضحك راغب قائلا:

- كل الشام والعالم بده يسافر إلى أمريكا.. لحد ما تسافر أمريكا اشتغل معاه.

ابتسم شداد:

- اشتغل معى ويمكن تكسب هون أفضل من أمريكا وتعيش هون معانا.. والفلوس هون والحب هون والجبل هون و"المتى" هون.. ها ها ها ها

قال راغب:

- أنت رجل غريب.. يا سامى يا رجل هذه فرصة عمر.. أقل مبلغ ستحصل عليه ألفين ليرة..

قال شداد:

- لا ثلاثة آلاف ليرة..

ضرب راغب كفه الأيمن بالأيسر صائحا:

- أوف أوف هذا مرتب وزير

قال شداد:

- أنا بعرف أن الوالد رفض زواجى من أختك "سهر" بس هو حر، وأنا ما زعلت.. الوالد عصبى شوى.. ما فى شئ.. بس أنا شفت إنك خسارة شاب مثلك بدى إياه

أخرج سامى نفسا من دخان الشيشة من فمه للهواء...

- ولا يهمك سيبنى أفكر يومين معلمى.. كلامك على راسى..

ضحك المعلم شداد وقام هو وراغب.. محيين..

سامى طويل عريض المنكبين.. سامى يحلم بالطيران فوق العالم.. سامى يحلم بأن يتعلم الطيران يصير طيارا، ويقابل مضيفات من كل الجنسيات ويعشق كل ليلة أنثى من جنسية أخرى.. سامى تحلم به بنات القرية.. الحلم أحيانا نجاة من الواقع وأحيانا لعنة.. حلم سامى مرة أن يتزوج بوردة ابنة المختار كى يصبح صهره ويملك أرضا من أرضه لكنه يكره الريف والجبل كحياة.. الحياة تدفعنا لشهوة الحلم والتعلق بأهداب الأمل.. قالوا له إن تعلم مهنة الطيار تكلف الكثير والكثير.. كانت الروح والاعتبارات المذهبية تحول بينه وبين العشق الحر والغرام الطليق الذى لا يعرف حدودا ولا سدودا..

ذات مساء عرف سامى معنى أن تطغى الشهوة على الحياة، عندما طلبت منه إحدى الجارات أن يساعدها فى كتابة رسالة إلى زوجها المسافر. وعندما دخل البيت خلعت ملابسها وصارت عارية كما ولدتها أمها، وصاحت وهى تقبل جسده: "ارحمنى أنا محتاجه راجل".. لأول مرة يعرف أن غياب الرجال عن النساء فى السفر مدة طويلة يدفعهم للبحث عن رجل ما.. أى رجل، وأن الشهوة تفض بكارة الفضيلة دون رحمة، وأن رحمة السماء التى تخص بعد البشر أحيانا تكون العفة والعفاف، وهذا ما قد ينجح فيه البعض أو يفشلون حتى الأنبياء..

سامى فكر أن يفتح حواراً مع أبيه ومع أمه ومع أخته حول مميزات المعلم شداد لعله يساعده ببعض المال حتى يسافر.. قال الأب له حين صارح سامى أباه فى موضوع المعلم شداد

- أنت جنيت يا ولد أبيع بنتى لتاجر غبى جاهل.. والله يستحيل

قالت أم سامى له:

- شداد.. شداد مين مين يا ولد أنت مخبول؟..

قالت سهر لأخيها سامى:

- أنا لا أتزوج رجلا من الجبل.. يا أخى يا ابن أمى وأبى.. هل تبيعنى من أجل حفنة ليرات ذهب أو فضة؟.. إنى أحلم بالسفر والزواج من رجل أطوف معه العالم، وأزور جامع الأقمر فى القاهرة.

سامى يفكر فى السفر مثل أخته، وكلاهما يود الطيران إلى آخر العالم بلا كلل أو ملل.. يعلم أن أخته يروقها كاظم مدرس اللغة العربية.. سامى لا يحب كاظم إنساناً، لكن يقبله معلماً.. بين القبول والحب شعرة.. الناس تكره وتحب بعضها بلا سبب.. الناس تحب أحيانا بسبب واه وتكره بسبب واه.. خلق الإنسان ساذجا أم شريرا؟.. لا أدرى

لقد تعود سامى أن يكتب على جسد النساء الوحيدات الجميلات اللاتى هاجر أزواجهن إلى فنزويلا أو أمريكا الجنوبية ونسوا النساء.. يجلس سامى على المقهى يتصرف كأبيه فى شموخ أنفه وحالته..

الفصل الثانى عشر
وجع الزعيم مصطفى كامل

فتحى رضوان خليل.. حبيب سهر فى المستقبل

كم رجل سحرت عيناك عيناه

جلس على مقهى سيد درويش، فى محطة الرمل على شاطىء الإسكندرية، معه كتاب وحلم ضائع بين نهد الوطن العربى وفرج الوطن مصر المستباح من كل الاستعمار منذ سبعة الاف عام.. مقهى سيد درويش، ومسرح سيد درويش، وشارع الشيخ سيد درويش فى كوم الدكة فى الإسكندرية.. قتلوا سيد درويش فى القاهرة

حينما طلب ٦٠٠ جنيه مقابل تلحين أوبريت.. قالوا "جن الرجل".. بلغ إنتاجه في حياته القصيرة من القوالب المختلفة العشرات من الأدوار، وأربعين موشحا، ومائة طقطوقة و ٣٠ رواية مسرحية وأوبريت.

في الفترة التي عمل فيها الشيخ سيد درويش على المسارح الرخيصة عرف أمرين لم يكن له بهما سابق معرفة: النساء، وصياغة الألحان؛ فالتعارف الأول طبيعي وأما التعارف الثاني فكان بحكم الموهبة المتأصلة في نفسه وروحه وكلاهما فطري بالنسبة لهذا الفنان الكبير كما أن ألمه الكمين في نفسه كان السبب في أن يخرج إلى الوجود بلغته الفلسفية النغمية فيسحر بجمالها الألباب ويرقص النفوس.. إنه ما كان يلحن أغنية حتى يرددها أفراد الشعب والعوالم اللواتي يقمن الأفراح والمسارح الغنائية وموسيقات الجيش والموسيقات الأهلية.. السر في انتشار الشيخ سيد بين أفراد الشعب هو أن لكل لحن قصة ومناسبة ولكل مناسبة أثرها العميق في نفس الشيخ سيد درويش المرهفة الحساسة؛ فأول أغنية لحنها كانت "زوروني كل سنة مرة حرام تنسوني بالمرة"، وكانت مناسبة تأليفها أن امرأة يحبها قالت له هذه العبارة: "ابقى زورنا يا شيخ سيد ولو كل سنة مرة"، ولحن آخر كان وحيه امرأة غليظة الجسم اسمها جليلة أحبها حبا عظيما وغدت إلهامه في النظم والتلحين والغناء هجرته هذه المرأة وأخذت تتردد على صائغ في الإسكندرية وعمل لها الصائغ خلخالا فغضب الشيخ سيد وفكر بالانتقام من حبيبته وعزوله وكان أول انتقام من نوعه على الطريقة الموسيقية الغنائية..

مات الشيخ سيد كمدا نتيجة تعاطيه جرعة من الهيروين لينسى ما فعله أصحابه به، انتهت حياة هذا الفنان الخالد يوم ١٥ أيلول من عام ١٩٢٣ (ويقال إن سبب الوفاة هو تسمم مدبر من الإنجليز) وله من العمر إحدى وثلاثون سنة وما أقصره من عمر وما أكثره من إنتاج وما أشقه من جهاد في سبيل هذه الحياة القصيرة المتواضعة التي جددت الروح في الطابع الأصيل للمزاج المصري، ولا يزال نشيد "بلادي

بلادي" الذي ألفه في مطلع القرن ٢٠ هو النشيد القومي لمصر اليوم وكان المصريون يفتخرون بذلك..

جلس فتحى رضوان وهو يشرب الشيشة.. يقرأ مذكرات محمد فريد الزعيم الوطنى.. فى صفحة ٥٤ يقول الزعيم محمد فريد

(في خريف ١٩٠٦ توسط الدكتور صادق رمضان ومهد السبيل للمقابلة وفعلا اجتمعنا أنا ومصطفى كامل والدكتور صادق ولطيف سليم باشا وهو ابن سليم باشا الحجازي أحد قادة الجيش المصري في عهد محمد علي ووالده فؤاد سليم زميل وصديق مصطفى كامل بمدرسة الحقوق.. وقابلنا الخديو عباس حلمى الثانى ليلاً في عزبة مسطرد وهي تابعة لمركز شبرا الخيمة في محافظة القليوبية.. وفي هذه الليلة اتفقنا على تأسيس الحزب الوطني والنادي وجرائد الاتندار بالفرنسية والإنجليزية وكنا مختلفين في أن يكون الحزب سرياً أو علنياً وكان رأى الخديو بأن يكون سرياً، وبأن ينتخب أعضاء لجنته سرا ولكن تغلبنا على هذه الفكرة وجعلناه جهريا.. وكان الخديوي يريد أن يطعن الإنجليز بسبب كرهه للورد كرومر.. أسسنا شركة الاتندار برأسمال قدره ٢٠ ألف جنيها.. دفعت أنا منها ٥٠٠، وأوعز الخديو عباس إلى الكثير من الأغنياء بالدفع فدفعوا.. مثل الأمير جميل طوسون ومدحت باشا يكن وغيرهما.. أخبرني بذلك الأمر مصطفى كامل عند وفاته.. ومصطفى كامل نفسه اكتتب بألف جنيه ولكن لا أدري إن كان الخديو دفع له في هذا المشروع أم لا لأنه رحمه الله كان يخفي عليَّ كل ما يختص بالمساعدات المالية التي كان يأخذها سواء من الخديو عباس حلمي الثانى أو من السطان عبد الحميد، على أنه اعترف بأنه أخذ مساعدات كثيرة من الخديو ولكنه لم يعترف لي مطلقا بأخذ شئ من السلطان).

هكذا نعرف أن الخديو عباس حلمى الثانى صاحب فكرة الحزب الوطنى ومؤسس سرى ونعرف من المذكرات تدعيمه للزعيم مصطفى كامل ومن السلطان عبد

الحميد.. لماذا خدعونا بأن أسرة محمد على خائنة؟ وكيف تحول بعض أفراد هذه الأسرة إلى مصريين شرفاء، وأحبوا هذا البلد؟

ويذكر محمد فريد في مذكراته:

(في صيف ١٩٠٧ سافر مصطفى لأوروبا في ٢٧ يونيه على ما أذكر وقمت مقامه في مراقبة الجرائد فكنت أكتب دائما في الجريدة الفرنسوية التي ظهرت في مارس سنة ١٩٠٧ ولما عاد في أواخر سبتمبر ذهبت لمقابلته باسكندرية على الباخرة. وكان الدكتور رمضان بانتظارنا في لوكاندة "أبات" فلما رآه مصفرا أخضر اللون قال لي همسا إن حالته الصحية غير مرضية ولابد أن يكون مصابا بالسل وهذه هي عبارته بالفرنساوية **il file du mauvais coton**.

في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى في الإسكندرية خطبة طويلة أعلن فيها مبادىء الحزب العشرة (هذه الخطبة كانت في مساء الثلاثاء ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ بمسرح زيزينيا وقد استعرض فيها الحياة السياسية في مصر بعد الوفاق الودي وفنَّد التهم الموجهة إليه بالتعصب وإثارة الروح الطائفية غير أن الخطبة لم تتضمن المبادىء العشرة كما أشار محمد فريد بذلك كما لم تتضمن مبادىء أخرى معينة إنما هي من نوع الخطب الوطنية الطويلة التي اعتاد مصطفى كامل أن يلقيها في المناسبات المختلفة وإن تميزت هذه الخطبة عن غيرها بوضوح الفكرة). ثم زاد عليه المرض ولزم الفراش مدة واضطربت ماليته كثيرا بسبب المضاربات التي كان دخل فيها هو وأخوه علي. ولما رأى ازدياد حالته أسرع بتأسيس الحزب وخطب خطبته في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ (وهي الخطبة التي ألقاها في أول جمعية الخطب الوطنية الطويلة التي اعتاد مصطفى كامل أن يلقيها في المناسبات المختلفة وإن تميزت هذه الخطبة عن غيرها بوضوح الفكرة)، وتأسس الحزب بالكيفية المعروفة ومن يومها لم يفارق غرفته حتى مات، وأنا والدكتور صادق بجواره إلى أن أسلم الروح ودفن في

مشهد لم يسبق لغيره بمصر، تجلت فيه الحركة الوطنية في أجمل مظاهرها وأخذ الإنكليز والخديو يحسبون لها ألف حساب.

من يوم وفاة مصطفى كامل ابتدأ الخديو يدس دسائسه لانتخاب رئيس يكون طوع أمره ليستعمله في أموره الشخصية وليحارب به الإنكليز فأرسل رجاله في الجنازة والمأتم ونفس الشيخ علي يوسف عدو مصطفى والمنافس له في جميع أموره، حضر المأتم والليالي الثلاث الأول وكذا عرف باشا من رجاله أيضاً وأخذوا يرشحون من يتوسمون فيهم الطاعة من الرؤساء مثل يوسف المويلحي أو عرفي باشا وبعضهم رشح الشيخ على يوسف نفسه. كل هذا لم يفد وفي يوم انعقاد الجمعية العمومية التي كانت دعوتها يوم ١٤ فبراير أي بعد الوفاة بأربعة انتخبت بالإجماع، وممن لعبوا دورا مهما في هذه المسألة بإيعاز الخديو: علي بك فهمي كامل فإنه كان يريد أن ينتخب بصفته أخ الفقيد وجهز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ووزعها على بعض الحضور وأدخل في محل الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة وخطب في الحضور مرشحا لي بناء على جواب كان كتبه له أخوه من أوروبا يوصيه فيه بانتخابي رئيسا لو فاجأه القدر المحتوم).

هكذا كان الحزب الوطنى القديم.. الحزب الوطنى الجديد وفي يوم ٧ أغسطس ١٩٧٨ اجتمعت الأمانة العامة للحزب الذي يرأسه الرئيس السادات والاتفاق على تسميته بالحزب الوطني الديمقراطي، وتولى الرئيس الراحل أنور السادات رئاسته حتى اغتياله سنة ١٩٨١. ترأسه منذ ١٩٨١ حسنى مبارك حتى٢٠١١

فى عام ٢٠١١ حطم المتظاهرون عدداً من مقار الحزب الوطنى فى القاهرة والمحافظات، وتعرض بعضها الآخر لمحاولات اقتحام متكررة، ففى القاهرة أشعل المتظاهرون النار فى المقر الرئيسى للحزب بكورنيش النيل، وفى دمياط اقتحم الأهالى مقر الحزب وأشعلوا النيران فى محتوياته.. وفى الإسماعيلية وقعت اشتباكات عنيفة

بين المتظاهرين والأمن فى محيط مبنى المحافظة، وفى الغربية حاصر الآلاف مقر الحزب الوطنى فى طنطا ومزقوا اللافتات الموضوعة حوله، واستولى المحتجون على مقر أمانة الحزب الوطنى بالقاهرة، بشارع قصر العينى، حيث أشعلوا النار فى المقر ثم أطفأوها، خوفاً من انتقال النار إلى محطة البنزين المجاورة للأمانة، وفى بنى سويف، تمكن متظاهرون من اختراق الحصار الأمنى بعد اشتباكات عنيفة، ووصلوا إلى مقر الحزب الوطنى المغلق وحطموا واجهته.. وتكرر المشهد فى المنيا، حيث رشق المتظاهرون مقر الحزب وأحرقوا اللافتات بداخله، واستخدمت قوات الأمن القنابل المسيلة للدموع لتفريقهم ما أسفر عن إصابة ١٥ وفى مدينة سمالوط بالمنيا أيضاً، تجمع نحو ٢٠٠٠ مواطن ورشقوا مقر الحزب الوطنى بالطوب والحجارة. ورشق نحو ٥٠٠ متظاهر بالمنوفية، ديوان المحافظة بالحجارة.. وتم تغيير اسمه إلى الحزب الوطني الجديد بعد تولي طلعت السادات رئاسته في ١٣ أبريل ٢٠١١، حتى تم حلّ الحزب نهائياً بقرار من المحكمة الإدارية المصرية في ١٦ أبريل ٢٠١١.

الفصل الثالث عشر

هذا وطن قتل الأنبياء وطردهم منذ إخناتون وطن بلا أجنحة لايحب الطيران والحرية وطن يعشق العبودية المختارة ويزور التاريخ

دقت ميثاء باب سهر، فتحت لها الأم ورحبت بها دخلت ميثاء وضحكت وقالت:

- **جئت بعريس لابنتك سهر من الإمارات اسمه (منقذ) ابن الطبقة المتوسطة ومعه الدولارات من الإمارات والأمنيات جاء يختار عروسة إنها لابد وأن تكون أجمل بنات الجبل قالوا له إنها سهر جاء منقذ الأشقر من بلاد النفط**

فقالت أمها للخاطبة ميثاء:

- **لن تترك المدرسة..**

ابتسمت الميثاء بدهاء، وقالت:

- سيأتى بعد ساعة هو وأهله.. ثرى وابن أسرة محترمة يعمل فى بلاد النفط.. سيأخذ سهر إلى بلاد العجب والمال والسيارات..

كتمت الأم أنفاسها من الفرح.. سيأخذها هناك فى بلاد النعيم وستركب سيارة فاخرة.. تحصل على الثانوية العامة.. البحث عن فردوس المال، وكاظم يبحث عن فردوس العشق والجمال، وفتحى يبحث عن فردوس الكلمة

"زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" (قرآن كريم)

انتشر الخبر فى القرية.. نشرته وكالة الأنباء المتحركة ميثاء، ولم تعلم سهر التى كانت فى الطريق إلى بيت شهرزاد: "عريس من بلاد النفط"

قال نزار قباني في قصيدته
"آخر عصفور يخرج من غرناطة"
النفط يستلقي سعيدا تحت أشجار النعاس
وبين أثداء الحريم
هذا الذي قد جاءنا
بثياب شيطان رجيم
النفط هذا السائل المنوي
لا القومي
لا العربي
لا الشعبي
هذا الأرنب المهزوم في كل الحروب
النفط مشروب لأباطرة الكبار
وليس مشروب الشعوب
كيف الدخول إلى القصيدة يا ترى
والنفط يشري ألف منتجع بماربيا
ويشري نصف باريس
ويشري نصف ما في نيس من شمس وأجساد
ويشري ألف يخت في بحار الله
يشري ألف امرأة بإذن الله
يشري ألف غانية لعوب
لكنه..
لا يشتري سيفا لتحرير الجنوب

الساعة الرابعة بعد الظهر فى الجبل فى الشام

جلست سوسن، وأمها تمشط شعرها، وتمسح شعرها..

- أنت أجمل أناث الجبل والضيعة أنت.. سيكون لك شأن كبير وقولى أمى قالت، وإن مت قولى الله يرحمها قالت...
- يا أمى أنا حظى قليل فى الحياة.. اجعلى سهر تتزوج منقذ وترحل عن الجبل.. أرجوك أتوسل إليك
- حاضر

***

دخلت "سهر" بيت "شهرزاد".. الباب مفتوح رائحة بخور تخرج منه..

- خالتى "شهرزاد" خالتى "شهرزاد" وينك؟؟
- ادخلى يا "سهر"

دخلت "سهر".. جلست "سهر"

- أجيب لك شئ تأكلى
- لا أكلت سندوتش فى المدرسة وتفاحة أمى عطيتهالى
- شو القصة خالتى أنا ما نمت البارحة
- لا شئ حبيبتى أنا حبيبت أريحك
- من شو تريحينى؟
- من أسئلة كثيرة جواك مو لاقية لها أجوبة
- مثل شو... خالتى؟
- أنت مندهشة ومستغربة أن عطرك طبيعى من جسمك.. وكل الناس اللى حولك وكل الدنيا مابتعرف شو قصة عطرك العرق الطبيعى بتاعك..
- إيه والله يا خالتى مسبب لى مشكلة كبيرة كبيرة.. مو عارفة أعمل إيه؟
- أقولك الحكاية

- قولى
- إن روحك هى التى تعطر جسدك يا صغيرتى.. الأرواح تتناسخ وهناك تقمص الأرواح يقال إن الإنسان تنتقل روحه إلى غيره وهذا ما يدعى بالتقمص هناك شعوب يؤمنون بها بشكل كلي ونحن منهم نؤمن بالتقمص في الحياة السابقة حتى المتقمص، ليتعرف على أقربائه السابقين فقد يكون عمر الطفل ٥ سنوات يتعرف إلى ابنه الكبير من الحياة، ويقال إن المتقمص لا يغير جنسه فالرجل يبقى رجلا وكذلك المرأة تبقى مرأة.. وإذا كان الرجل سيئا تنتقل روحه إلى امرأة تظل امرأة عقابا له ويروي عنه والروح تأخذ ٧ فرص حتى تنجو من النار يوم الحساب
- لا أفهم يا خالتى.
- أنت الروح السابعة يا سهر أما روحك الأولى كانت روح فتاة اسمها نفر
- ومن هى نفر؟
- كان ياما كان فى سالف العصر والأوان فى العصر الفرعونى بنت اسمها نفر...

انتظرونى ...... فى الجزء الثاني

تذكرة سينما

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ وأهم أعماله فى المسرح والرواية

- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦/ كلية التربية.
- أخصائي مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٦/١٩٧٤.
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحي بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبي مؤسسة الصدي ٢٠٠٦– ٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبي مؤسسة الصدي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).
- مستشار إعلامي دبي مؤسسة الصدى (٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربي للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.

عرض له في مسرح الطفل

- مسرحية سندريلا (الكويت-سلطنة عمان-البحرين)	١٩٨٣ إخراج /منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت-دبي-أبوظبي)	١٩٨٣ إخراج /أحمد عبد الحليم.
- مسرحية سندس (الكويت-البحرين- قطر)	١٩٨٥ إخراج /محمود الألفي.
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى)	١٩٨٥ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية أولاد جحا (الكويت - البحرين)	١٩٨٦ إخراج / محمود الألفي.
- مسرحية حذاء سندريلا(الكويت - بغداد)	١٩٨٧ إخراج /دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد)	١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.
- عنتر بن شداد (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية أولاد جحا (مصر)	١٩٨٩ إخراج / المؤلف.
- مسرحية سندس	١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.
- مسرحية حكاية لولو وكوكو	١٩٩٠ إخراج / المؤلف.
- مسرحية قميص السعادة – القاهرة	١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى
فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضي بطولة وجدى العربي-عبد الرحمن أبو زهرة عائشة الكيلانى-علاء عوض	١٩٩٦ إخراج / حسام عطا

- مسرحية حب الرومان وخيرزان (القاهرة)
- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضي.. بطولة : مي عبد النبي - لمياء الأمير - محمد عبد المعطي - أحمد الحجار.
- مسرحية (سفروتة في الغابة) ١٩٩٨ إخراج/د. محمد عبدالمعطي
  من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحي بتونس) بطولة / وفاء الحكيم - محمد عبد المعطي
- **حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام١٩٨٠.**

- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- كتب عنه أكثر من ٥٢ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراة
- كتب ٧ روايات

١- مسافرون بلا هوية ١٩٩٧
٢- نسكافيه ٢٠١٠
٣- قهوة سادة ٢٠١١
٤- كابتشينو ٢٠١٢
٥- شاى أخضر - شاى بالياسمين ٢٠١٤
٦- كل من عليها خان ٢٠١٥
٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦
٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به – شط إسكندرية يا شط الهوي) ٢٠١٧

مشاريع السيد حافظ الفنية للمسرح

وهى حوالى ١١٠ مسرحية وهى كالتالى
كتب للمسرح والتراث العربي مشروعاً يتضمن المسرحيات التالية للكبار

١) قراقوش والأراجوز
٢) ملك الزبالة
٣) ليلة سقوط صقلية
٤) ليلة اختفاء الحاكم بمر الله
٥) ليلة اختفاء فرعون موسى
٦) الآمر بأحكام الله
٧) الحاكم بأمر الله
٨) ليلة اختفاء اخناتون
٩) العالية والأمير العاشق
١٠)الظاهر بالله
١١)ظهور واختفاء أبي ذر الغفارى
١٢) حدث فى مدينة الزعفران
١٣) عبد الله النديم
١٤) أسد الفرات

كتب مشروعا للمسرح الكوميدي يحتوي

١) الغجرية والسنكوح
٢) وسام من الرئيس
٣) رحلات ابن بسبوسة
٤) انا ما ليش حل

5) عريس الغفلة
6) حكاية الفلاح عبد المطيع
7) حكاية مدينة الزعفران
8) الحوش
9) الراجل اللى لعبها صح
10) امسكوا سالم حشيشة
11) ملك الزبالة
12) حرب الملوخية

كتب مشروعا مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف تضمن

1) رجال في معتقل
2) يا زمن الكلمة الكذب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين
3) والله زمان يا مصر
4) الأقصى فى القدس يحترق
5) أحبك يا مصر

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

1) سندريلا
2) الشاطر حسن
3) أبو زيد الهلالى
4) سندريلا والأمير
5) سندس
6) على بابا
7) أولاد جحا
8) بيبى والعجوز
9) سندباد سواح فى البلاد
10) قطر الندى
11) عنتر بن شداد
12) فستق وبندق
13) القطة يويو
14) أحلام بابا نويل
15) حمدان ومشمشة
16) سفروته فى الغابة
17) حب الرمان وخيزران
18) الوحش العجيب

قدم مشروعا للمسرح التجريبي به

1) كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى
2) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث

3) هم كما هم ولكن ليسوا هم
4) علمونا أن نموت وأن نحيا
5) الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء
6) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان
7) حبيبتي أميرة السينما
8) إشاعة
9) أجازة بابا
10) الميراث
11) سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى
12) إيقاع في رحم الكلمات العذرية
13) نغم فى الحلم الفوضوى
14) تقسيمات مختزنة للشمس
15) سقوط حضارة لوط
16) الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)
17) المفتاح
18) الخلاص يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف
19) سيزيف القرن العشرين
20) الأشجار تنحنى أحيانا (مسرحيات تجريبية) وهى
21) رجل ونبى وخوذة
22) امرأة وزير وقافلة
23) طفل وقوقع وقزح
24) لهو الأطفال فى الأشياء شيىء
25) تكاثف الغثاثة على الخلق موتا
26) خطوة الفرسان فى عصر اللاجدوى.. كلمة
27) محبوبتى محبوبتى قمر الخصوبة فى شرنقة حبنا ميلادا
28) تعثر الفارغات فى درب الحقيقة.. بحث
29) ياله من عالم مظلم بارد متخبط
30) بوابة الميناء
31) قدم مشروعا للمسرح النسوى يحتوى على (٥) مسرحيات للنساء تحت عنوان اكسبريسو ومعها
32) امرأتان
33) ليلة ليلاء
34) ليلة الخميس
35) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله
36) ليلة اختفاء إخناتون
37) ليلة اختفاء فرعون موسى
38) المنشار
39) التحقيق
40) صراع الألوان مشروع مسرحيات قصيرة جدا يضم ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة.
41) المسافر ٢٠١٨
42) الجراد ٢٠١٨

أخرج للمسرح

- مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشرى السترة ١٠ شخصيات.
- (الحبل) يوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدى يوسف (المؤلف الشهير الحالى) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.
- الزوبعة لمحمود دياب، كلية التربية عام ١٩٧٣.
- الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.
- آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب، مجدى نجيب،عبد الرحمن الأبنودى-فؤاد حداد.
- حديقة الحيوان لإدوارد أولبى ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حالياً، صفاء غراب قصاص معروف حالياً.
- كوكو ولولو، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.
- أولاد جحا، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفي كامل.
- نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جواز سفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان/ فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود/ مصطفي عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندى ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندى..ومسرحية إيقاع فى رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور
- جماعة المسرح الطليعى التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضاً متواصلاً دون أجازة – عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٢	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائي فتحي	١٩٩٥
٣	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولي	١٩٩٦
٤	ميت غمر	ملك الزبالين	علي عزب	١٩٩٦
٥	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولي	١٩٩٦
٦	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦

٧	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
٨	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
٩	غزل المحلة	خطفوني ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٠	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١١	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولي	١٩٩٧
١٢	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقي	١٩٩٨
١٣	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٤	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٥	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٦	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٧	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
١٨	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
١٩	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسيني	٢٠٠٤

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) **بنطلون روميو تأليف ابو السعود الأبيارى**
٢) **الغربان - تأليفه**
٣) **مسافر بلا متاع لجان انوى.**
٤) **الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودى**
٥) **شرق المتوسط لمحمود درويش**
٦) **الزوبعة لمحمود دياب**
٧) **الحبل لجان انوى**
٨) **حديقة الحيوان لادوارد اولبى بطولة أحمد آدم**
٩) **هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدى يوسف المؤلف الشهير حاليا مؤلف يوميات ونيس**
١٠) **ليالى الحصاد لمحمود دياب**
١١) **أحبك يا مصر تأليفه**
١٢) **سندس تأليفه**
١٣) **الخطوبة لتشيكوف**
١٤) **المخبأ تأليفى**
١٥) **والله زمان يا مصر تأليفه**
١٦) **أحبك يا مصر تأليفه**
١٧) **مصطفى كامل تأليفه**
١٨) **عبد الله النديم تأليفه**

١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلا ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات
الأستاذ عادل شاهين
الأستاذ محمد غباشي النجم المعروف الآن
المخرج ناجى أحمد ناجى
المخرج سيد شعبان
المخرج رمضان عبد الحفيظ

أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون

أحمد عبد الحليم أخرج ٤ مسرحيات
محمود الألفي مسرحيتان
مجدى عبيد مسرحيتان
فاروق زكى مسرحية
دكتور محمد عبد المعطى مسرحيتان
دكتور حسام عطا مسرحية
فاروق زكى مسرحية
سمير حسنى مسرحية
محمد متولى مسرحية
عبد الرحمن الشافعى مسرحية
أشرف فاروق مسرحية
أحمد إسماعيل مسرحية
سمير زاهر مسرحية
عادل شاهين مسرحية
أسامة شفيق مسرحيتان
مجدى مجاهد مسرحينان
محمد سالم مسرحية
علي سرحان مسرحية
عباس أحمد مسرحية
إميل شوقي مسرحية
بالإضافة لحوالي ٣٠ مخرجا من أشهر مخرجى المحافظات

أخرج مسرحياته من العراق الأساتذة

د وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء

دكتور سعدى يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع
دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران
دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبي ذر الغفارى

من الكويت أخرج مسرحياته

منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثانى)
د حسين مسلم (مسرحية بيبى والعجوز)
عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبدالمطيع)

أشهر من أخرج له فى الإمارات

جاسم عبيد الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلى المخرج التونسى أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع
مرة فى فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جالزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة فى تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله المسرحية

- **كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.**
- **كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.**
- **بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.**
- **كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربي - صليحة حسنى- بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.**
- **كتاب الفلاح في المسرح العربي - نموذجا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول -المغرب الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.**
- **كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبي ذرالغفارى- منصورية مباركى - وجدة - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٩.**
- **كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ -نموذجا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٩٠.**

- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربي. السيد حافظ نموذجا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب- نموذجا- عائشة عابد - جامعة محمد الأول -١٩٩١.
- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجا على بابا- نزيهة بن طالب (الناشر - العربي للتوزيع).
- مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربي من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجا ١ " حبيبتي أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
- المسرح السياسي عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول _ وجدة _ المغرب _ ١٩٩٦.
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير - وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفة.
- جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- المسرح التجريبي عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ - نموذجا - فاطمة زكاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣

دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ - سناء جلال أحمد علي – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.

من أهم الكتب التى كتبت عن السيد حافظ

١- السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة - جزائرية
٢- دكتور على عاشور الجعفر مسرح الطفل – كويتى

٣- كتاب السيد حافظ ومسرح الطفل – كويتى
٤- الفعل الدرامى فى مسرح السيد حافظ - دكتور مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.
٥- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ فى المسرواية) "جزءان" د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٦- التنوع الدلالي فى مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج. د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٧- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل فى الوطن العربى. د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٨- تمظهر التجديد فى بنية السرد فى القصة القصيرة "السيد حافظ نموذجاً". د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

مشـــــاركات

- شارك في مهرجان
- قرطاج (تونس)
- بغداد (العراق)
- الأردن
- أبو ظبي
- القاهرة
- الإسكندرية
- مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر)
- مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)

العنوان ١٢ شارع طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة
موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩

E-mail : Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

فهرس